

مصالي الحاج «ونجم» شمالي أفريقية
من خلال مذكرات مصالي الحاج

الدكتور محمد خير فارس
جامعة دمشق — قسم التاريخ

مصالي الحاج «ونجم» شمالي أفريقية

من خلال مذكرات مصالي الحاج

إن الحديث عن النجم الشمال أفريقي هو في الحقيقة الحديث عن مؤسسه وزعيمه العامل البسيط مصالي الحاج، الذي ارتقى بنضاله إلى مستوى قادة العالم الثالث الكبار، والذي وصفه الحبيب بورقيبة بحق أنه (أبو الوطنية الجزائرية). كان النجم، الحزب الوحيد في الوطن العربي وربما في العالم الثالث كله بين الحربين، الذي نادى بالتححرر الكامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وآمن بوحدة شمال أفريقية، ووحدة المصير العربي، ووفق بوضوح بين التراث العربي الإسلامي وبين حاجات العصر الحديث. ومن مدرسة مصالي الحاج تخرج قادة ثورة تشرين الثاني، ولكنهم اختلفوا معه وظلموه فمات بعيداً عن وطنه ١٩٧٤، ثم عمل بعض هؤلاء على إنصافه بعد مماته.

كتب أحمد بن بلأ في مقدمة مذكرات مصالي الحاج:

"ما هو مسجل هنا إنما هو شهادة وصحوة ضمير، شهادة شعرت بالحاجة الماسة لها. فمئذ بعض الوقت في ذلك الليل الطويل أثناء توقيفي، في هذا الصمت والمواجهة مع الذات، بعيداً عن صخب الحياة وقرقة الكلمات، فرضت علي فكرة هذه الشهادة وأنا استعرض شريط حياتي، فرضت علي ذكرى مصالي الحاج وقررت أن أرد له اعتباره وأنصفه.

هذه الحياة الغنية المليئة جداً، حياتي، أنني أدين بها للقاء مع هذا الرجل...

هذه البذرة كانت في بادئ الأمر في فكر سيدي الحاج، وهي أخيراً فكرة كل البلد وكل الشعب ومن ثم مجموعة من الرجال الذين خصبوا وأغروها. هذه البذرة كانت أولاً

في فكر سيدي الحاج الذي غرسها قبل أي من الآخرين، وكانت هذه الغرسة بحاجة إلى عدة فصول شتاء وعواصف وعرق ودم قبل أن ترى النور سنة ١٩٢٦، في فرنسا ثم تنغرس في أرضنا سنة ١٩٣٧م، وارتفعت قوية وكان يلزم مرور سبعة عشر عاماً كي تتفتح الزهور المتعددة الألوان.. هذا الحريق في تشرين الثاني سنة ١٩٥٤، الذي قلب مصيرنا ومصائر الشعوب المضطهدة، ولأمور كثيرة نحن مدينون لهذا الرجل. ويكفي أن نعود إلى العام ١٩٢٦، فقد كان أولئك الذين كانوا يعتقدون انه سيأتي يوم يكون لبلدنا أن يستعيد استقلاله، كانوا قلة، وكان الأمر كذلك لسنين كثيرة بعد ذلك. فبفضل هذا الرجل وحفنة من أنصاره تحول ما بدا إيونوبيا مجنونة إلى حقيقة...^(١) وكتب المؤرخ الفرنسي شارل أندريه جوليان تعقيماً على المذكرات كمعاصر لمصالي وشاهد على مواقفه في ٣ حزيران ١٩٧٤، غداة السنة السابعة والسبعين من عمره، توفي مصالي الحاج في باريس بعيداً عن وطنه. مصالي الزعيم الجموح الذي كان كما صرح - بحق ١٩٥٩ م الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة (أبو الوطنية الجزائرية) انه الآن ملك التاريخ والعدالة.

إن الجماهير الجزائرية لمدينة لمصالي أكثر من أي شخص آخر بوعي هويتها التي لم يكن بإمكانها استرجاعها إلا بالاستقلال، وأياً كانت مصاعب النضال وسلبات الظروف فإن مصالي لم يهادن أبداً.. إن شعبيته التي لا حدود لها فوق كل شيء، إضافة إلى قدرته على ترجمة المطامح العميقة للشعب الجزائري بالقول والعمل^(٢). اعتبر مصالي نفسه وحزبه استمراراً لعبد القادر وعبد الكريم الخطابي، وهذا يوضح موقفه الصلب ورفضه المهادنة والحلول الوسطى.

لقد كتب الكثير عن "النجم"، والحق أن المتقنين الجزائريين أنصفوا مصالي أكثر مما أنصفه رفاق الدرب-ولذلك سأكتفي هنا بالحديث عن "النجم" وزعيمه مصالي من خلال مذكرات مصالي الحج التي نشرت عام ١٩٨٢، بإشراف روبرت أجرون، الأستاذ في جامعة تور، ومحمد الحربي مؤلف عدد من المؤلفات عن تاريخ حركة

التحرير الجزائرية، وبنجامين ستورا الذي كرس رسالة الدكتوراه درجة ثالثة لمصالي الحاج، وابنته يانينا مصالي بن قلقاط. كان مصالي الحاج معجباً بجان جاك روسو، قرأ كتبه ودفعته قراءة اعترافات روسو إلى كتابة هذه المذكرات^(٣) التي يجد القارئ فيها لمسات إنسانية رائعة، ربط مصالي فيها كل شيء بالسياسة: الحج، الرياضة، الهجرة، الحرب، الحب... الخ.

ولد مصالي الحاج في تلمسان التي ناضل أهلها الغزاة الأسبان طيلة ثلاثة قرون، وضد ظلم الأتراك وتسعهم عشرات السنين، وجاهدوا الفرنسيين بقيادة الأمير عبد القادر خمسة عشر عاماً. كما شهدت تلمسان قيام أول حكومة جزائرية حديثة بقيادة عبد القادر، والتي قامت على أساس العدل والمساواة، وفي نضال تلمسان الطويل هذا، كان المغرب عمقها السياسي والعسكري والاقتصادي والديني. وارتبطت تلمسان عاطفياً مع المشرق، مع الشام، التي اختارها عبد القادر وطناً ثانياً، والتي اختار رافضو التجنيد الفرنسي من أهلها الهجرة إلى الشام، وبقي أهلهم يرددون الدعاء إلى الله أن يجمعهم مع إخوانهم في الشام^(٤).

هكذا ولد مصالي الحاج ونشأ في أرض، كان الكفاح ضد الغزاة، أحد مقومات حياتها. أرض نمت فيها المشاعر المغربية والعربية، فكان جزائرياً يكافح في سبيل استقلال الجزائر التام، وكان مغربياً يؤمن بوحدة النضال المغربي لتحرير المغرب الكبير ووحدته، وكان عربياً يتطلع إلى وحدة الكفاح والمصير العربيين، وكان إسلامياً متتوراً يدرك دور الإسلام في الوحدة الوطنية الجزائرية والمغربية وحماية الهوية القومية وفي النضال ضد الاستعمار^(٥). وكان اشتراكياً يؤمن أن التحرر السياسي لا يكتمل إلا بالتحرر الاقتصادي والاجتماعي.

كانت فرنسا تعدّ الجزائر امتداداً طبيعياً لأراضيها (فرنسة ماوراء البحر) وقد اعتبرها دستور ١٨٤٨ جزءاً لا يتجزأ من سيادتها الوطنية. وبعد هزيمة ١٨٧٠ وخسارتها

الأكراس واللورين ستشكل الجزائر وخيراتها التعويض المادي والمعنوي لخسائر فرنسة وإخفاقاتها. ستتحول كما تقول جريدة (الوطن) إلى (أكراس لورين جديدة) أو (فرنسة أفريقية)^(٦). ولد مصالي الحاج في تلمسان عام ١٨٩٨ في أسرة فلاحية فقيرة تنتمي إلى الطريقة الدرقاوية. وكان والده تلمسانياً عريقاً وفلاحاً بسيطاً يحظى باحترام السكان. أما والدته فكانت تنتمي إلى أسرة من البرجوازية الصاعدة، ولم تكن تهتم بأسرة والده. وقد تأكد لكل من الأسرتين في أعماق كل منهما أنه ليس بينهما شيء مشترك، فالغنى والفقر لا يمكن أن يلتقيا ويتعايشا معاً، الفقر يتكلم لغة والغنى يتكلم لغة أخرى^(٧).

عمل مصالي أجير جلاق ثم أجير إسكافي ثم عمل في بقالية عند أحد أقاربه ثم في مصنع للسجاد، ولما صدر قانون منع تشغيل الأولاد من عمر الأربع عشر سنة فما دون، اضطر إلى العودة إلى المدرسة ليكمل تحصيله الابتدائي، ولكنه فشل في السرتفيا بسبب ضعفه في الحساب.

لاحظ مصالي اهتمام المجتمع التلمساني بالحج ونظرتهم إليه كعمل استقلالي إزاء المحتل وكصلة مع مجموعة العالم الإسلامي. إن الحجاج من مختلف البلاد يمكنهم أن يتصلوا ببعضهم البعض خلال عدة أسابيع ويتبادلون المعلومات حول بلادهم، ويتدارسون المشاكل الاقتصادية والسياسية والثقافية ومسألة تبادل المساعدات. وكان كل منهم يبيت همومه وآماله، وكل واحد منهم حين يعود إلى بلده يصبح بقوة الأشياء داعية ويناضل من أجل عظمة الحضارة الإسلامية "وحين يعلن الراغب في الحج ترشيحه للسفر إلى الأرض المقدسة يصبح شخصية متميزة في أسرته وحيته"^(٨).

لاحظ مصالي الارتباط العاطفي بين تلمسان والشام. ذلك أن استقرار الأمير عبد القادر في دمشق جعل اسم الشام معروفاً في الجزائر ومحبوياً. وجاء قانون التجنيد الإلزامي ليعمق هذه الرابطة. فقد أحدث مشروع التجنيد الذي فرض على الجزائريين

استياء وقلقاً وغضباً لدى الأسر، وكانت الأمهات أكثر الناس تأثراً. وكن يقلن أنهم يريدون سرقة أولادنا وتدمير الخلية الأسرية. إن هذا لن يحدث، إن الله لن يسمح بذلك" وكان حديث الجميع في المقهى والمسجد والزاوية والسوق حول ضريبة الدم التي فرضتها الحكومة الفرنسية على الأهالي. واعتبر الأهالي هذا المشروع استفزازاً ومساساً بمبادئ الإسلام، ورأت فيه الأوساط الإسلامية وسيلة لتتصير المسلمين^(٩). ونودي أن الخدمة العسكرية حرام وإنها معصية للخالق. وخطب مفتي تلمسان ضد التجنيد وحث الناس على الهجرة. وقد تركت هذه الهجرة التي توجهت نحو الشام صدًى في الأغاني الشعبية التي كانت تنتهي "اللهم أجمعنا جميعاً في الشام"^(١٠).

يذكر مصالي أنه في أيامه كان أكثر الجزائريين لا يعرفون الفرنسية. وكان التلاميذ الفرنسيون يتشوقون بهزء أمام زملائهم الجزائريين، فيغضب هؤلاء ويردون أحياناً بالضرب. وكانت هذه التعبيرات شائعة "عربي قذر" "فرنسي قذر" "اسبانيولي قذر" "يهودي قذر"^(١١). وصار الجزائريون يحورون كلمة Civilisation إلى Syphilisation نسبة إلى مريض السفلس، الذي كان يفتك بالسكان الجزائريين بسبب نقص التغذية^(١٢). وبدأ الشباب العربي آنذاك يتعشق الرياضة التي تغذي روح المنافسة للكوربيين.

كانوا يريدون أن يؤكدوا أنهم أنداد للفرنسيين، بل كانوا يريدون قهرهم بالرياضة. كان هذا المفهوم يتضمن روحاً وطنية.

في عام ١٩١٨م، سيق مصالي إلى الجندية ونقل إلى بوردو، وتسجل في جامعة بوردو كمستمع حر لمتابعة دروس العربية وحضور بعض المحاضرات العامة. وفي شباط ١٩١٩م، سمح له بالعودة إلى الجزائر.

يذكر مصالي أنه حين زار العديد من أصدقائه الصناع كان هناك سؤال يطرح عليه دوماً "ماذا يظن فينا الفرنسيون في فرنسة وقد انتهت الحرب الآن؟ ماذا تعرف أنت الذي أمضيت في فرنسة عاماً؟ هل ستعترف فرنسة بحقوقنا؟"

يقول مصالي، أن السؤال عن حقوقنا الذي أصبح أكثر تردداً لم يكن جديداً، لأنه كان قد سمعه عام ١٩١٠-١٩١١، وفي كل مكان كان هذا السؤال عن حقوقنا وعن مؤتمر الصلح. وكان الجزائريون يتوهمون أن لدى الرئيس ويلسون الرغبة في التدخل لصالح تركية والعرب وشمالي أفريقية. وكان الحديث عن مبادئ الأربعة عشرة مألوفاً، وبخاصة حق الشعوب في تقرير مصيرها. وكان الجزائريون يأخذون رغباتهم كحقائق. إن الاشتراك العام بالمناقشة السياسية يثبت أن مستقبل الجزائر كان يشغلهم لأقصى درجة، وكان هذا يجري في كل مكان. وكانت المطالب والاحتياجات وآمال البعض تنتشر في طول البلاد وعرضها. لأنه خلال الحرب وبعدها سافر الجزائريون كثيراً... لقد أذت الحرب كل الناس بما فيهم الجزائريين الذين فقدوا مئات الآلاف في ساحات المعارك في فرنسة وغيرها، ولكن الحرب جعلت ملايين الناس من أجناس وأديان مختلفة يلتقون. وعلى الصعيد الاقتصادي أسهمت الحرب في خلق برجوازية جديدة. ولم يكن لمصالي موقف إزاء البرجوازية، ذلك أن وجودها حادث اقتصادي... وليس هناك شيء غير طبيعي. إن هذا الحادث يعكس تطوراً وتقدماً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً يمكن أن يكون له نتيجة سعيدة في المستقبل. ومع ذلك، يجب ألا يغيب عن البال أنه في بلد كالجزائر تميل البرجوازية الصاعدة إلى جانب الإدارة الاستعمارية، خوفاً من أن تفقد مركزها وغناها اللذين حصلت عليهما بشرف أو بدون شرف، وهكذا كانت هذه الطبقة تتذبذب^(١٣).

في عام ١٩٢٠، رقي مصالي الحاج إلى رتبة عريف ثم رقيب مما أدى إلى تحسن وضعه. ولكنه أحس بالتمييز العنصري فقد كان يتقاضى يومياً فرنكاً ونصف بينما زميله الفرنسي يتقاضى سبعة فرنكات. قدم مصالي احتجاجاً إلى القيادة قوبل بالرفض وأفهم أن كونه من الأهالي يحول دون تمتعه بكل حقوق الفرنسيين^(١٤).

وكان الجزائريون يشعرون بالمرارة، لأنهم استخدموا إبان الحرب كمرتزقة وإنهم أعيدوا بعد الحرب إلى قراهم ليبيعوا أنفسهم للمستوطنين بأجور زهيدة.

في ربيع : ١٩٢٠ اطلع مصالي على جريدة الأومانيته، وجذبت اهتمامه بما كانت تكتبه عن تركية وسورية وإيران وغيرها من بلاد المشرق، كما كانت تتحدث عن مصطفى كمال. ومنذ ذلك الحين، بدأ يواظب على مطالعة هذه الجريدة. وكان شراؤه لها يثير الاستغراب، كان بعض رفاقه في الجيش يرى أن هذه الجريدة اشتراكية ضد الوطنية وأن قارئها يعاقب وتنزل رتبته، و"ليس لرقيب في الجيش الحق في قراءة جريدة تتحدث دوماً عن الأحزاب وتهين الجيش الفرنسي".

وكان البعض يقولون: "إنها جريدة الشعب والعمال والفقراء، وكانت كلمة العمال والفقراء تؤثر فيه. ومنذ ذلك الوقت، كانت عواطفه مع هذه الجريدة وكانت هذه الخطوة الأولى في طريقه باتجاه الحزب الشيوعي^(١٥).

بعد ثلاث سنوات من الإقامة في فرنسة وفي أواخر ١٩٢٠، لم يعد مصالي الحاج ذلك الذي كان قبل الحرب. أصبح شخصاً آخر وبدأ له أن تلمسان الصغيرة لا يمكن أن تكفيه كمجال للعمل بعد تسريحه من الجيش. حاول العمل في تلمسان ولكنه لم يرتح للعمل الذي لا يحترم حقوق العامل من حيث الأجر وساعات العمل.

كان اهتمام مصالي يزداد بالشرق الذي كان يسحره من خلال ألف ليلة وليلة ومن كتابات بيبيرلوتي. وكان يهتم بصفة خاصة بالأحداث الدولية وبخاصة اقتسام العالم العربي الإسلامي وبالوضع في شمالي أفريقية^(١٦). وفي الأشهر الأولى من عام ١٩٢١، عاد عدد من الأسر التلمسانية التي هاجرت ١٩١٠ وتحدثت عن سحر الشرق وقوة تركية المعنوية ويقظة العالم العربي.

كانت سنة ١٩٢١ هامة في حياة الجزائريين، فقد أسعدهم وأنعش آمالهم انتصار الأتراك على اليونان في اسكى شهر، وانتصار عبد الكريم الخطابي على الأسبان في معركة أنوال، ويقول مصالي أن الثورة الكمالية وحرب الريف أحدثت صدمة نفسية في كل الجزائر.

مصالي الحاج والشيوعية:

في بداية عام ١٩٢٢، بدأ الحديث في تلمسان عن الشيوعيين، وكان هناك لفظ آخر "البولشفيك". كان مصالي كما يقول يجهل العقيدة الشيوعية التي بدت له صعبة على الفهم، وكان أهلنا الكبار لا يحبون روسية "قيصرية أم شيوعية" لأنها حاولت أكثر من مرة في تاريخها انتزاع أراضٍ من تركية. ولكن الدعاة الشيوعيين كانوا يُستطون الأمر بقولهم: "الشيوعيون مع الفقراء والمستغلين وضحايا النظام الاستعماري ومثل كثير من المواطنين كان مصالي يمنح عطفه للشيوعيين^(١٧).

وانتشر في تلمسان قدوم نائب شيوعي إلى تلمسان لإلقاء محاضرة في ٢٢ آذار ١٩٢٢م في إحدى دور السينما التي غصت بالحضور من الفرنسيين والعرب. شوح المحاضر مبادئ حزبه وفضح مساوئ الاستعمار، وحسب شرحه فإن الشعب الجزائري وقع على الأرض وفوقه القائد وفوق القائد الإداري وفوق الإداري كل ثقل الجهاز الإداري، واستخلص النتيجة التالية: "أن كل ثقل الاستعمار يتحمله الفلاحون والعمال. واعترف مصالي إن معظم المسائل التي تطرق إليها المحاضر كانت معقدة جداً بالنسبة لمعرفة، وكان يعتقد أنه ليس وحده على هذه الحال. كان عليه أن يمضي عشر سنين ليبدأ بفهم ما جرى في روسية، وكيف أن هذا البلد الكبير توصل إلى ثورته، "ولكن القليل الذي فهمناه كان كافياً لينيرنا ويكفيها ما دام أن الشعب الروسي أعلن أنه صديق لكل الشعوب المستعمرة"^(١٨).

كان الفلاحون والعمال والطبقات الشعبية الفقيرة تميل إلى الانتظار، وكانت تعد آنذاك الأطباء والمحامين ورجال الأعمال والموظفين وحدهم القادرين على الدفاع عن مصالحهم، لأنهم متعلمون ويعرفون القانون ويتكلمون لغة المنتصر. وكان الشعب يعتقد أن كبار الأسر المدنية وكبار الأسر الأرستقراطية والدينية سيساعدونه على إيجاد حقوقه^(١٩).

في صيف ١٩٢٢ سمع أهالي تلمسان بقدوم الأمير خالد فاستعدوا للقاءه، ولكنه وصل ونزل في بيت أسرة تلمسانية كبيرة... ودعي من قبل غيرها من الأسر الكبيرة. والحق كما يقول مصالي أنه كان ضيف البرجوازية الكبيرة التي احتكرته، أما عامة الناس فلم تتمكن من رؤيته. وفي رأي مصالي وأمثاله، أنه كان على الأمير خالد أن يسعى بنفسه لرؤية الناس البسطاء الذين كان لديهم الكثير ليقولونه. وجعلهم يقارنون بين زيارته وزيارة النائب الشيوعي الذي سعى لمقابلة الفقراء "أننا نحب الأمير خالد ونحترم شجاعته وماضي جده التاريخي ولكننا أصبنا بخيبة أمل" (٢٠).

في خريف ١٩٢٣، وصل مصالي إلى باريس وبدأ يعمل في مصنع وتزوج فرنسية (٢١). كان مصالي يسمع من العمال الجزائريين شكاوهم من التمييز العنصري ومن قلة أجورهم وحديثهم عن قانون الأهالي وحرب الريف ومصطفى كمال. وكان البعض يبدي رغبته بالانضمام إلى عبد الكريم.

وفي الأوساط الشمال أفريقية في باريس، كان النقاش حاراً حول أحداث الريف وشخصية الأمير عبد الكريم، وكانت صورة الأمير في جيب كل عامل جزائري. كان الحزب الشيوعي الفرنسي يقف إلى جانب الأمير عبد الكريم، وقد نظم عدة اجتماعات حضرها مصالي في صيف ١٩٢٤، ومنذ ذلك الوقت أصبحت جريدة الأومانيته جريدته المفضلة (٢٢). في عام ١٩٢٤، جرت انتخابات تشريعية في فرنسا، خاضها كارل اليسار*. حضر مصالي الاجتماعات الانتخابية التي كان اليسار ينظمها، وكانت هذه الانتخابات بمثابة تدريب حقيقي وإعلامي وتنقيف سياسي تعرف مصالي خلالها على الحاج علي عبد القادر، مرشح الحزب الشيوعي الفرنسي، وأعجب بخطابه وربطت بينهما منذئذ علاقات صادقة وثيقة. كان الحاج علي عضواً في اللجنة

* أي اتحاد الأحزاب اليسارية: الحزب الشيوعي، الحزب الاشتراكي الديمقراطي، والحزب الرديكالي. (رئاسة التحرير: م.م.).

الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي، التي كانت تضم عشرة أشخاص، كان ثلاثة منهم جزائريين. وبتأثير الحاج علي انتسب مصالي للحزب الشيوعي دون أن يفهم إيديولوجيته. كان الواضح بالنسبة له موقف الشيوعيين المعادي للاستعمار والمدافع عن حقوق العمال والفلاحين^(٢٣). ولكن مصالي ما لبث أن وجد استعداداً لدى العمال الجزائريين للاعتماد على النفس. قال أحد رفاقه وهو شاب ذو خبرة وتجربة، أنه ينبغي الآن أن نعمل بأنفسنا لأنفسنا شيئاً محسوساً وعملياً. ينبغي أن نشرع في إيجاد تنظيم وابتكار علم نناضل باسمه من أجل كرامتنا وحريتنا وتحررنا...^(٢٤).

وفي اجتماع ضم الحاج علي ومصالي وآخرين، بدت في آذار ١٩٢٦ جمعية "نجم شمالي أفريقية". ومنذ ولادة هذا التنظيم الجديد عين مصالي رئيساً له وكما يقول: «قررت قيادة "النجم" عقد عدة اجتماعات في مقاهي الدائرة ١٩ الصغيرة في باريس لتعرض على الجزائريين وكل المغاربة الجمعية الجديدة. لقد عرفت الاجتماعات الأولى بعض النجاح وأثارت بعض الفضول، وحتى ذلك الوقت لم يوجد لا في فرنسا ولا في الجزائر تنظيم مشابه لهذا التنظيم. لقد شرحنا لماذا أقمنا مثل هذا التنظيم ولأية غاية، وكان مواطنونا مسرورين، ولكنهم كانوا حذرين نوعاً ما^(٢٥)، ذلك لأننا لم نكن معروفين. فنحن لم نكن في الجزائر مستشارين بلديين ولا قواداً ولا حتى معلمين في المدارس الأهلية. وكان بيننا وبين الأمير خالد فرق كالفرق بين الليل والنهار. كان رفاقي عمالاً في مصانع وكنت أنا صبيّاً في مخزن خياطة، وكان من الصعب خلق مناخ من الفهم... كان مواطنونا في الواقع يظنون أننا نريد عزلهم وينظرون إلينا كرجال نقابة ولا يفرقون بيننا وبين الشيوعيين ولجعلهم يقدرونا ونخلق لديهم الثقة بنا، كنا نشرح خلال الاجتماعات أحداث الساعة وكنا حريصين ألا نطلب أية مساعدة مادية، ولكن كل هذا لم يكن كافياً^(٢٦)».

وفي البداية لم يكن للجمعية مقر ثابت، استخدمت المقاهي والمطاعم الشيوعية

للاجتماع، حصر مصالي الموضوعات التي ينبغي التركيز عليها في حديثه مع العمال الجزائريين:

- ١- التذكير بإيجاز بالماضي التاريخي للإمبراطورية العربية.
- ٢- شرح عظمة الحضارة الإسلامية وإشعاعها في العالم وذكر الحضارة العربية في الأندلس والعرب في بواتيه.
- ٣- احتلال الجزائر والمقاومة الجزائرية وملحمة الأمير عبد القادر وأبطالنا.
- ٤- شرح حول ثورة الأمير عبد الكريم وروح التضحية لديه.
- ٥- توضيح عظمة الثورة الكمالية وشخصية مصطفى كمال العظيمة.
- ٦- المبادئ الإسلامية والنضال من أجل الاستقلال.
- ٧- نقطة العالم الإسلامي.
- ٨- الوضع في الجزائر.
- ٩- كيف حدث احتلال بلادنا وإخضاعنا لنظام قانون الأنديجينا^(٢) والاستيطان.
- ١٠- ماذا تريد "النجم" الشمال افريقي^(٢٧). واعترف مصالي أن معرفته بمعظم هذه النقاط كانت سطحية، ولهذا قرر دراستها. فانتسب إلى الصوروبون كمستع حر في مدرسة اللغات الشرقية، وكان يتابع المحاضرات في الصوروبون والكوليج دوفرانس.

بعد مضي ثلاثة أشهر على ولادة (النجم) قررت القيادة تنظيم لقاء عام للتعريف بالجمعية على نطاق واسع وإعطائها طابعاً رسمياً، وذلك في ٢٦ حزيران ١٩٢٦. ضم الاجتماع آلاف الجزائريين والفرنسيين وبعض الصحفيين بينهم مصري. ترأس

٢

(٢) من الكلمة الفرنسية INDIGENE بمعنى (أهلي، بلدي وهنا بمعنى جزائري). وبهذا المفهوم صيغ "الأنديجينا" التي حاول تطبيقها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، تضمنت إجراءات تمييزية/تصريية بحق الجزائريين، سكان البلاد الأصليين في مجالات المياحة والعمل والتفصل إلخ.. (رئاسة التحرير م.م.).

مصالي الاجتماع وألقى خطاباً هاماً. أشار مصالي إلى التزامن المحزن والسعيد في آن واحد. ففي الوقت الذي كان فيه عبد الكريم يخوض آخر معركة ضد التحالف الفرنسي الأسباني، بدأت (النجم) دخولها العظيم في الأحياء الفقيرة. هناك شيء ما يلاحظ، كي لا نقول أنه إلهي، فهناك في كل هذا إرادة الله ويد الخالق. وبهذا الخصوص قال الأمير عبد القادر حين يموت شخص برصاص العدو يحيا إنسان آخر. وينبغي القول أن (النجم) ولدت لتستأنف معركة الأمير عبد القادر والأمير عبد الكريم^(٢٨). وكشيوعي شمال أفريقي كان مصالي يحضر عدة لقاءات في مقر اللجنة الاستعمارية في شارع البارتريارش، وهناك كان يقرأ جريدة (الباريا) التي كانت تعالج مشاكل البلاد الأفريقية الآسيوية والإفريقية. وفي هذا الشارع قابل مصالي عدداً من مناضلي البلاد الآسيوية والأفريقية الذين أصبحوا فيما بعد شخصيات كبيرة قائدة لبلادهم.

كان عمل مصالي الانتشار في كل الدوائر الباريسية للتعريف بالنجم، وقد أبلغه الحاج على أنه قد فرغ للنجم وأنه سيتلقى مرتباً لقاء ذلك، وطلب منه الاستمرار بحضور اجتماع خليفته في الحزب الشيوعي في الحي الذي يقيم فيه، "ذلك لأن هذا سيجعلك أفضل من حيث التنظيم ومن حيث المنهج السياسي"^(٢٩). يصف مصالي الحاج على أنه كان "كبيرنا ومستشارنا ولكنه لم يكن يمارس أية مسؤولية مباشرة وكوسيط بيننا وبين الشيوعيين كان مسموعاً ومقدراً لدينا ولديهم"^(٣٠).

في بداية ١٩٢٧، كان مصالي رئيساً للحزب وأميناً عاماً في آن واحد، بانتظار أن يأتي أحد يتحمل عنه إحدى هاتين المسؤوليتين. وقد نصحه الحاج على بالاحتفاظ بالأمانة العامة وترك الرئاسة لصديق. وفي هذه الأثناء، تعرف مصالي على الشاذلي خير الله، العضو في حزب الدستور التونسي، فأوكل إليه الرئاسة^(٣١).

مؤتمر بروكسل: في ٢٧ شباط ١٩٢٧، عقد في بروكسل مؤتمر تحت شعار "من أجل النضال ضد الاستعمار واستقلال الشعوب المضطهدة" حضرته شخصيات بارزة من

أوربة وآسية وأفريقية، واشترك فيه (النجم) ممثلاً بمصالي والشاذلي خير الله. تعوف مصالي خلال هذا المؤتمر على نهرو ومحمد حتا والبكري ممثل سورية وسنغور.

وفي أول اجتماع كان على رؤساء الحركات السياسية إعطاء تصريح قصير للصحافة الدولية، عالج مصالي في تصريحه ما ينبغي أن يكون عليه التعليم في الجزائر وبين كيف أن عشرين ألف من الأطفال العرب لا يستطيعون دخول المدرسة. وفضح مصالي النظام الاستعماري "الذي جعل من لغتنا العربية لغة العرب لغة أجنبية" (٣٢).

لقي خطاب مصالي اهتماماً وترحيباً وقوبل بالتصفيق لاسيما حين وصل إلى البرنامج السياسي للنجم (٣٣).

وكان يتألف من مطالب فورية:

- ١- إلغاء فوري لقانون الأندنجينا وكل التدابير الاستثنائية.
- ٢- العفو عن كل المساجين أو الذين تحت المراقبة الخاصة أو المنفيين بسبب مخالفته قانون الأندنجينا. أو بسبب جنح سياسية.
- ٣- حرية السفر المطلقة نحو فرنسا والخارج.
- ٤- حرية المطبوعات والجمعيات والاجتماع وحقوق سياسية ونقابية.
- ٥- أن يحل محل المندوبين الماليين المنتخبين بالتصويت المحدود، برلمان وطني جزائري منتخب بالتصويت العام.
- ٦- إلغاء البلديات المختلطة والمناطق العسكرية وأن يحل محل هذه الأنظمة مجالس بلدية منتخبة بالتصويت العام.
- ٧- وصول الجزائريين إلى كل الوظائف العامة دون أي تمييز، ولكل وظيفة متساوية مرتب متساو للجميع.
- ٨- التعليم الإلزامي باللغة العربية، إنشاء مدارس عربية جديدة، أن تحرر كل الوثائق الرسمية بالعربية والفرنسية.

٩- وما يخص الخدمة العسكرية: الاحترام الكامل للآلية القرآنية التي تنص على أن من يقتل مسلماً عامداً متعمداً مصيره جهنم وبئس المصير (هدف ذلك عدم إرسال الجزائريين ليحاربوا ضد إخوانهم في المغرب والمشرق).

١٠- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية، حق المعونة العاطلين عن العمل للأسر الجزائرية في الجزائر، وإعانات عائلية.

١١- توزيع القروض الزراعية على الفلاحين الصغار، تنظيم أكثر عقلانية للسوي، تطوير وسائل المواصلات، معونات مجانية من الحكومة لضحايا المجاعات.

ونص البرنامج السياسي على: الاستقلال الكامل للجزائر، انسحاب كامل لقوات الاحتلال، تشكيل جيش وطني، وحكومة وطنية ثورية، ومجلس دستوري منتخب بالتصويت العام لكل الدرجات، وحق الترشيح لكل سكان الجزائر، اعتبار اللغة العربية لغة رسمية، أن تعود للدولة الجزائرية ملكية البنوك والمناجم والسكك الحديدية والموانئ والخدمات العامة، التي يحتكرها الذين استولوا عليها، مصادرة الملكيات الكبيرة التي يحتكرها الإقطاعيون المتحالفون مع الغالبين والمستوطنين والمجالس المالية، إعادة الأراضي المصادرة إلى الفلاحين، احترام الملكيات المتوسطة والصغيرة، عودة أراضي الغابات التي تحتكرها الدولة الفرنسية إلى الدولة الجزائرية، التعليم الإلزامي باللغة العربية في كل الدرجات، اعتراف الدولة الجزائرية بالحق النقابي وحق تشكيل الجمعيات وحق الإضراب وسن قوانين اجتماعية، مساعدة فورية للفلاحين لتخصيص قروض للزراعة بدون فائدة من أجل شراء الآليات والبذار والأسمدة.

هنا الجزائريون والسوريون والمصريون والأندونسيون والهنود والسفغاليون والتونسيون مصالي بحرارة كما فعل مثل ذلك مندوبون غير عرب وغير مسلمين. ودعا الوفد الأندونيسي برئاسة محمد حتا وممثل سورية الكبرى لتناول الشاي وتبادل الأفكار. وصف مصالي أيام بروكسل أنها كانت أياماً عظيمة تاريخية. وكان مصالي

مسروراً، فقد أعلن برنامج (النجم) السياسي، الذي ينص على الاستقلال ووحدة شمال أفريقية بشكل علني أمام الرأي العام الدولي^(٣٤).

- مسجد باريس:

- تحدث مصالي عن افتتاح مسجد في باريس صيف ١٩٢٧م. وتسأل كيف يمكن بناء جامع في باريس، وفي الوقت نفسه إرسال جنود من شمالي أفريقية للحرب في سورية ضد إخواننا. وقامت (النجم) الطنطنة التي رافقت تدشين المسجد وكشفت لمناضليها هذه المناورة الحقيرة التي تجرح كرامة المسلمين. وأطلقت (النجم) الشعار التالي "مدارس في الجزائر يسقط الاستعمار والظلاميون أعداء التقدم" وطالبت النجم أن يحترم المسجد كمكان للصلاة والخشوع، ذلك أنه الحق بالمسجد حنام وسوق ومطعم مع موسيقيين، حيث كان الزبائن من الجنسين يسمحون لأنفسهم بأوضاع لايقبلها الإسلام ولا المسيحية. ونظم (النجم) حملة مدامات من الطلاب والعمال الجزائريين لإجبار الزبائن على احترام الأماكن المقدسة وعدم تدنيسها وكأنها من علب الليل^(٣٥).

- كما فضحت (النجم) الأمر بعدم تسجيل الأطفال المولودين حديثاً من أب جزائري وأم فرنسية في سجل الأحوال المدنية بأسماء عربية. وقد ترك العديد من الجزائريين أطفالهم دون أسماء كرفض للخضوع لهذا التنصير الإجباري^(٣٦).

- مهازل الاحتفال بمرور مئة عام على احتلال الجزائر: منذ ١٩٢٩ بدئ بإعداد الرأي العام الفرنسي والدولي للاحتفال بمرور مئة عام على احتلال الجزائر. ولهذا -دون شك- حلت (النجم) وغيرها من المنظمات الإفريقية والهندوسينية. وفي الجزائر عمل كل شيء من أجل إشراك الأهالي في هذه المهزلة الاستعمارية الكبرى. ودعى بورجوازيو الجزائر ومتفقوها وإصلاحيوها للمشاركة في هذا العيد. ودعى القواد والأغوات والباش أغوات والنواطير والعسكريون والجمعيات

من كل نوع إلى إعداد الألبسة لمناسبة هذا العيد المنوي وحضر الكثير من النواب والشيوخ والوزراء وكبار الموظفين والتجار من فرنسة لحضور ومشاهدة "النوبة الكبرى" في مكانها. وكتبت الصحافة بعناوين بارزة "الجزائر هي النجاح العظيم" "الجزائر هي فرنسة" "الجزائر هي امتداد لفرنسة"... "الجزائر هي بستان فرنسة" واستمرت هذه الضجة عدة أسابيع. وكانت عربات وسيارات تطوف الجزائر بكل اتجاه معلنة هنا وهناك عن عمل فرنسة العظيمة التمديني. وكان هناك غناء ولهو ورقص مع شراب وطعام أمام شعب خاضع لنظام القوانين الاستثنائية. وشعر الجزائريون بالمهانة والإذلال والاستقزاز والدوس على الكرامة والمشاعر والدين. لقد أجبروهم على الاحتفال بقرن من الاستعمار والمعاناة والاستغلال والظلامية^(٣٧).

رغب مصالي ورفاقه بهذه المناسبة محاكمة قرن من الاستعمار وأن يشركوا معهم مواطنيهم والرأي العام الفرنسي والدولي وقرروا عقد اجتماع كبير، وللرفع من تأثير هذه المظاهرة والحصول على أكبر نجاح أعلنوا في منشور أن الأمير خيالد الذي اختاروه كرئيس شرف (للنجم) سيحضر شخصياً هذا الاجتماع الهام^(٣٨). ونظموا عدة مجموعات من مناضلي (النجم) للطواف في باريس والضاحية لجذب أكبر عدد ممكن من الجزائريين. واستمرت التحضيرات أكثر من أسبوعين. غصت قاعة الاجتماع الذي استمر ثلاث ساعات، وقام الخطباء بمحاكمة الاستعمار وفضحوا مهزلة الاحتفال المنوي للسيطرة الاستعمارية^(٣٩). وعلم مصالي من الصحافة أن هناك لجنة سورية فلسطينية كانت تقيم قرب عصبة الأمم^(٤٠) للدفاع عن قضية إخواننا العرب. أرسل مصالي مذكرة إلى عصبة الأمم تفصح قرناً من الاضطهاد والاستغلال وتطرح مسألة الاستقلال^(٤١).

وفي العام نفسه الذي جرت فيه مهزلة الاحتفال المنوي بالجزائر، وبعد أربع سنوات من استسلام الأمير عبد الكريم، أصدر الاستعمار الفرنسي الظهير البربري الشهير

الذي كان عليه أن يمحو آثار ثورة الريف ويفتح البلاد على البربرية كمرحلة أولى لتتصير ٥/٣ سكان المغرب. كان الفرنسيون كما يقول مصالي يرغبون بطريق ملتو للشروع بالقضاء على إسلام السكان المغاربة. إن هذا العمل البشع الذي كان الاستعمار قد بدأ به في الجزائر كان ينبغي أن يمتد إلى تونس بعقد المؤتمر الأوفخاريسي^(٢) وتدشين تمثال للكاردينال لافينجري مؤسس مدارس المشرق والآباء البيض، وتحالف السيف والتعميد لاستئناف الحروب الصليبية والاستيلاء إلى الأبد على المغرب العربي.

ولكن الظهير البربري عزز في الحقيقة التضامن بين الشمال أفريقيين وشجع تقارباً بين المغرب والمشرق، فقد تحرك المشرق العربي الإسلامي كله وعلى رأسه حكامه ورفعوا الاحتجاجات^(٣). وقد سبقت هذه الحملة المعادية للاستعمار المؤتمر الإسلامي العالمي الذي سيعقد في القدس في كانون أول ١٩٣١^(٤). إن هذا المؤتمر الذي كان له دور كبير في كل البلاد العربية والإسلامية إنما عقد ليدعو إلى الاتحاد بين كل مسلمي العالم. وكانت مسألة وحدة الحركات الوطنية والنضال من أجل الاستقلال في صلب المناقشات.

وفي هذه الفترة التي تعالت من كل جهة الاحتجاجات ضد تصرفات الاستعمار، رؤى إقامة معرض استعماري فرنسي في باريس. جاءت هذه المبادرة من المارشال ليوتي. ودعى الباريزيون وفرنسيو الأقاليم لزيارة المعرض ومشاهدة الأهالي ونمط حياتهم كما لو كانوا يتفرون على حديقة الحيوانات. وقف (النجم) ضد هذا المعرض وأقام بالتعاون مع الشيوعيين معرضاً استعماريّاً معاكساً في بيت النقابات في باريس. وقد تلقى منظمو هذا المعرض المعاكس قطعاً فنية ذات قيمة تاريخية، وجاء عدد كبير من

(٢) الأوفخاريسية: من الكلمة اليونانية "أوفخاريسية" بمعنى: سر الشكر الإلهي. وفي المسيحية سر القربان المقدس (رئاسة التحرير، م.م.).

الزوار لرؤيتها واستخلصوا بأنفسهم أن الأهالي كانوا قادرين على العيش بحرية واستقلال وأن طنطنة غابة فانسين ليست إلا دعاية لخداع الفرنسيين حول فظائع الاستعمار^(٤٤).

مصاعب واجهت النجم: لاحظ مصالي فتوراً من الشيوعيين الفرنسيين إزاءه، وقد أبلغه الحاج علي في خريف ١٩٢٧ أن الشيوعيين لم يعد بوسعهم الاستمرار بمساعدة (النجم) مادياً، ولكنهم سيستمرون في تقديم المساعدة في مجالات أخرى. وأخبر الحاج علي مصالي أن عليه الاعتماد على نفسه وإيجاد عمل له. أبلغ مصالي لجنة القيادة أنه نتيجة للصعوبات قرر البحث عن عمل ليكسب قوته وأنه سيحتفظ بمنصبه كمسؤول أول عن (النجم)، كما قرر أن يبقى شيعياً وأن يستمر في حضور اجتماعات خليته. واستمرت (النجم) في الاجتماع في أماكن الحزب الشيوعي ولم تتأثر علاقاته بالشيوعيين. وحاول مصالي أن يفهم موقف الحزب الشيوعي الذي وضع حداً لتفرغه. وكان لديه الانطباع منذ مدة أن الحزب لم يجد فيه الشخص الذي يناسبه. وقد علم بعد ذلك أن الحزب الشيوعي لم يكن يرغب في رؤية مصالي على رأس (النجم). وأن سياسة مصالي لم تكن تعجبه. فبادر لإبعاده عن (النجم) ولم تكن هذه المرة الأولى التي كان هناك خلاف بين الشيوعيين ومناضلي البلدان المستعمرة، وبالرغم من خلافات (النجم) مع الشيوعيين الذين كانوا يحاولون فرض برنامجهم عليها وكسب أعضائها حتى في اللجنة المركزية. فإن أيّاً من الطرفين لم يكن يرغب في وضع حد للعلاقة بينهما. واستمرت (النجم) في الاجتماع في أماكن الحزب الشيوعي، ولم يفلق الشيوعيون أبوابهم دون (النجم) لكنهم كانوا لا يخفون استياءهم. يقول مصالي «كنا نريد التعاون والمساعدة ولكن دون تبعيّة، كنا نريد أن نكون وحدنا أسياد مصيرنا»^(٤٥).

وفي بداية ١٩٢٩، راجت شائعات عن قمع ضد (النجم). وتصور مصالي أن أعضائه (النجم) سيتعرضون للاعتقال. وكانت مفاجأة لمصالي حين علم أن (النجم) كانت

ملاحظة أمام المحكمة المدنية، التي طالبت بحل (النجم) بموجب قانون صادر ١٩٠١. وقد وكل النجم محامياً ونائباً شيوعياً ليدافع عنها. وحضر مصالي وأربعة أعضاء من لجنة القيادة أمام المحكمة، ولم يكونوا وحدهم، فقد كان هناك قادة منظمات من الهند الصينية وإفريقية السوداء ملاحقين لنفس السبب. وقد فهم مصالي أن كل المنظمات السياسية التي تحاول مس تمامية الأرض الوطنية الفرنسية يجب أن تحل. جرى حل (النجم) في أواخر نيسان ١٩٢٩ في وقت سيئ بالنسبة لها. وكان من الطبيعي أن هذا الحل سيزيد صعوباتها المالية بصورة جدية. كان الحزب الشيوعي لا يجهل هذا الوضع، لكنه لم يفعل شيئاً للمساعدة بصورة جدية. وأصبح الموقف بالغ الدقة حين اقترح أحد أعضاء القيادة الأكثر حكمة وصراحة أن نتوقف ونحل بأنفسنا الحزب. واقترح هذا العضو أن نجلب الأرشيف والقليل من المال الذي تبقى لدينا لنوزعها على المناضلين، ولكن مصالي عارض هذا الاقتراح وطلب تأجيل الاجتماع إلى وقت آخر مما يسمح لكل عضو أن يفكر وأن يزن مسؤوليته إزاء القرار الذي سيتخذ. وفي الاجتماع التالي الذي عقد بعد ٤٨/ ساعة كان واضحاً أن الجو أفضل، وتقرر الاستمرار بالعمل وفق برنامج اقترحه مصالي.

يقول مصالي: "في عام ١٩٣٠، كنا نعيش كبدو وعلى أربعة أعوام من النشاط لم يكن لنا مقر ولا وسيلة للتعبير، وكانت تنقصنا الأطر والمال والمنتسبون وكنا نخشى الانقسام. ما من طالب جزائري حضر إلينا ليعرض علينا قلمه ومعرفته. "لا الطلاب ولا البرجوازية ولا التجار لم يجرؤوا طرق بابنا". في فرنسا كان هؤلاء السادة غير مكترئين بنا وبنشاطنا. وفي الجزائر كانوا يتجهون نحو الإصلاحيين كي لانقول بنبي (وي وي)^(٩). في المغرب وتونس كان الطلاب والبرجوازيون والمتقنون قد تبنا قضية شعبهم، ومع نضالهم من أجل مطالب محددة لم يكونوا يخفون مطالبهم

(٩) أي نعم، نعم، بمعنى الخضوع للسلطات الاستعمارية الفرنسية (رئاسة التحرير، م.م.).

باستقلال بلادهم. أما في الجزائر، فإن هذا الشرف العظيم، شرف الدفاع عن الوطن وقع على عاتق العمال والفلاحين والطبقات الصغيرة من مجتمعنا^(٤٦). قرر (النجم) إصدار (جريدة الأمة). رحب الجزائريون في فرنسا والجزائر بجريدة الأمة. وبدءاً من نهاية المعرض الاستعماري الذي استمر حتى تشرين الأول ١٩٣١، بدأت (النجم) تولد من جديد شيئاً فشيئاً، وصارت أكثر فأكثر حرة مستقلة في تحركاتها ونشاطاتها مع احتفاظها بعلاقاتها الودية مع الحزب الشيوعي الفرنسي. لكن السلطات الفرنسية لم تغفل عن (النجم) فقررت أن توجد في قلب باريس ما يشبه البلدية المختلطة في الجزائر على رأسها إداري سابق لبلدية مختلطة في القبائل. وقد زعمت الصحف الاستعمارية أن هذه البلدية ستكون في خدمة الجزائريين من وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية والصحية، وأنها ستعمل على تسوية الأمور والنزاعات التي تظهر بين العمال الجزائريين والإدارة الاستعمارية في الجزائر. ومن المؤكد -كما يقول مصالي- أن هذا لم يكن سوى غطاء ليخفي مخططات الإدارة. فقد كانت ترغب في جذب العمال الجزائريين لتبعدهم عن تأثير (النجم)، فحتى ذلك اليوم الذي أوجدت فيه هذه البلدية المختلطة كنا بالنسبة لكثير من الأمور، كالبطالة وقضايا الأحوال الشخصية والاستشارات في المشافي نعامل كباقي زملائنا الفرنسيين. ولكن منذ ذلك اليوم صرنا نخضع لهذه البلدية مما عقد حياتنا. فلم يعد لنا الحق بالذهاب إلى مستشفيات أحيائنا بل إلى مشفى خصص لنا. وأوجدت هذه البلدية بوليساً خاصاً مؤلفاً من رجال بوليس جزائريين وفرنسيين مكلفين بمراقبتنا. كان هؤلاء يترددون على المقاهي والمطاعم الجزائرية ليحتكوا بالجزائريين ويعرضوا عليهم الإغراءات ليتعاونوا معهم من أجل هجر (النجم) وكانوا يقولون لهم "لاتتبعوا مصالي الحاج فهو عربي في حين أنكم من القبائل الفخورين بجالكم وذكاكم وشجاعتكم" وهكذا أصبحت هذه البلدية المختلطة عبارة عن جهاز بوليس خاص^(٤٧).

- تطور (النجم) ١٩٣٣-١٩٣٥:

خلال هذه الفترة، كان مصالي يتابع تنقيف نفسه فتابع دراساته وقرأ الجرائد الدولية وحضر عدداً من المحاضرات، كما صار يتردد على جمعية طلاب شمالي أفريقية المسلمين التي يترأسها محمد الفاسي. كما تعرف على فرحات عباس في مقهى جزائري وعلى دانييل جبران الاشتراكي الذي حدثه عن بلفريج وجان روبرولونجي حفيد كارل ماركس الذي أصبح محامي (النجم). وفي ٢٨ أيار ١٩٣٣، عقد (النجم) اجتماعاً هاماً عرض فيه مصالي البرنامج الذي عرض في بروكسل. وقد تبناه المجلس بالإجماع واعتبر كميثاق وطني لجميع السكان الجزائريين. وقد عرضت جريدة الأمة هذا البرنامج وشرحته وعلقت عليه، وكانت الجريدة تصل إلى الجزائر منذ ١٩٣٢. وكانت تصل قادة (النجم) رسائل من كل مكان تشكرهم وتطلعهم على آمال الشباب الجزائري، وقيل أن الأمة كانت تنتقل من يد إلى يد^(٤٨).

في سنوات ١٩٣٣-١٩٣٤، أصبح السلام مهدداً من قبل الاستعمار ومن قبل الفاشست الإيطاليين والنازيين الألمان، وبدأت تظهر حركة معادية للفاشية والإمبريالية في صفوف العمال واليسار الفرنسي، وكثر الحديث في صفوف الشعب الفرنسي عن ضرورة وحدة اليسار وجرى تجمع ضم الشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين والعناصر اليسارية الأخرى. وقد رأت (النجم) أن مكانها إلى جانب الشعب الفرنسي^(٤٩). والاشتراكية الديمقراطية. صحيح أن البروليتاريا الفرنسية لم تكن تهتم بمطالب (النجم) الوطنية ولكن بالرغم من كل شيء هناك إمكانيات في صفوف اليسار أن تعرض القضية الجزائرية لدى الرأي العام. وقد أقر المكتب السياسي واللجنة التنفيذية والمجلس العام هذا الموقف وبدأت (النجم) تتعامل على قدم المساواة مع مختلف المنظمات اليسارية وانفتحت آفاق جديدة أمامها^(٥٠) وزاد نفوذها لدى الطلاب والعمال الجزائريين. بدأ (النجم) في تعريب الحزب، وبدأت اللغة العربية تظهر في

الأحاديث والنشرات وفي جريدة الأمة. وفي ٥ آب ١٩٣٤، حضر أكثر من ثمانمائة جزائري في مجلس عام للجمعية، ولأول مرة رفع العلم الجزائري الأخضر والأبيض والهلال الأحمر. وألقى مصالي الحاج خطاب الافتتاح أمام هذا العلم المرفوع عالياً المحاط بحرس الشرف. ولدى رؤية هذا المشهد العظيم وقف الجزائريون كرجل واحد يغنون ويصفقون وتعالّت صرخات "تحيا الجزائر" "يحيا الاستقلال" "يحيا نجم أفريقية". ولم يسبق مثيل لهذا الحفل منذ ١٨٣٠، وانتشر الخبر في أنحاء فرنسا والجزائر. وعاد التقاهم بين (النجم) والحزب الشيوعي أمام خطر النازية و"الفاشية". حاول (النجم) تنظيم اجتماع خطابي ولكن الحكومة منعت الاجتماعات، وتكررت المحاولة حتى نجح النجم في عقد الاجتماع رغم المنع. وكان كل الخطباء يطالبون باستقلال شمالي أفريقية ووجدتها وختم مصالي الاجتماع قائلاً: "إن هذه الظاهرة الكبرى صارت تاريخاً لنا لقد عقد هذا الاجتماع رغم منعنا مرتين وذلك بفضل كل الجزائريين الذين حضروا"^(٥١).

وفي ١٩ آب ١٩٣٤م، جرى اجتماع آخر، إثر الحوادث التي وقعت في قسنطينة بين اليهود والمسلمين. كان هدف الاجتماع فضح الدسائس الاستعمارية وإحباط مخططات التقسيم والحد. لقي الاجتماع نجاحاً ساحقاً وتقرر فيه إرسال بعثة تحقيق إلى قسنطينة مؤلفة من جان لونجي وبشير طالب عضو لجنة القيادة. وصوت الحاضرون بالإجماع على ما يلي "إن مسلمي شمالي أفريقية المجتمعين وعددهم ٣٥٠٠، يوم الأحد ١٩ آب ١٩٣٤، يقرون دون تحفظ عمل (نجم شمالي أفريقية) ويعلمون استعدادهم لدعمه بكل الوسائل. إنهم يؤكدون تضامنهم الحازم والفعال مع ضحايا القمع. إنهم يعلنون موافقتهم الكاملة على موقف إخواننا الأباة، الذين تصدوا للتحدي وردوا على تذبذبات المسجد وإهانة المؤمنين ونبيينا، أنهم يحتجون بشدة ضد اعتقال عدة مئات من المسلمين الأبرياء ويطالبون بقوة، إطلاق سراحهم فوراً ورفع حالة الطوارئ". وانصرف المجتمعون هاتفين يسقط قانون الأنديجينا الكريه، تسقط القوانين الاستثنائية،

تسقط البلدية المختلطة، يحيا النضال التحرري لمسلمي شمالي أفريقية، يحيا استقلال شمالي أفريقية، يحيا الإسلام^(٥٢).

وفي تشرين الأول ١٩٣٤، دعى (النجم) إلى اجتماع كبير لسماع تقرير لجنة التحقيق حول حوادث قسنطينة، وقد تدخل البوليس واعتقل مصالي الحاج. تدخلت زوجة محاميه مدام لونجي وكان زوجها المحامي لونجي قد شارك في لجنة التحقيق في حوادث قسنطينة ولكنه عندما عاد أصيب بمرض حال دون حضوره الاجتماع فحضرت زوجته نيابة عنه وطالبت بإطلاق سراح مصالي وهددت بالاتصال بالسيد ليون بلوم إذا لم يطلق سراحه، واضطر البوليس لإطلاق سراحه^(٥٣). وفي اليوم التالي شنت الصحافة الفرنسية هجوماً عنيفاً على (النجم) ودعت إلى حله واعتقال المسؤولين عنه. وفي ١/ تشرين الثاني ١٩٣٤ اعتقل مصالي، وبمساعي محاميه لونجي عومل في بادئ الأمر كمعتقل سياسي، ولكنه أعيد بعد فترة بفضاظة إلى السجن العادي، وقال له مدير السجن السياسي "ليس للعربي حق بالنظام السياسي"^(٥٤). رافق اعتقال مصالي حملة قمع ضد (النجم)، وحكمت المحكمة على مصالي بست أشهر سجن و ٢٠٠٠/فرنك غرامة لإعادته حزب منحل. وحكم على رفاقه عيماش وعماش وراجف بلقاسم الشيء نفسه. استرد مصالي حريته في أيار ١٩٣٥، ولكن الملاحقات القضائية استمرت أمام عدة محاكم في باريس وبعض المدن الفرنسية. وفي محكمة أميان، قال له القاضي هامساً عن قرب "العرب كذابون" فرد عليه مصالي بشدة^(٥٥). وأخيراً ألغت محكمة السين في باريس في ٣ تموز ١٩٣٥، قرار حل (النجم) وأوقفت الملاحقات، تعرف مصالي في هذه الفترة على قادة تونسيين: الدكتور بن سلجان والهادي نويرة، ومغاربة من كتلة العمل: حسن الوزاتي وبلفريج، وبدأوا جميعاً في توحيد جهودهم وتبادل وجهات النظر لوضع الأسس للمغرب العربي^(٥٦).

- مصالي والأمير شكيب أرسلان:

"لقاء المغرب والمشرق العربيين في ١٩٣٥" علم مصالي أن مؤتمراً إسلامياً أوروبياً

سيُعقد في جنيف بمبادرة من اللجنة التنفيذية الدائمة للمؤتمر الإسلامي، الذي عقد في القدس ١٩٣١. وقرّر (النجم) المشاركة وشكّل وفداً لحضور المؤتمر الذي سيُعقد في ١٢ أيلول ١٩٣٥. وفي الوقت نفسه الذي كان وفد (النجم) يستعد للسفر إلى جنيف، دعى مصالي لحضور اجتماع للجهة الشعبية من أجل أنثيوبية، وقرر المجتمعون إرسال وفد إلى جنيف ليرفع احتجاجاً إلى عصبة الأمم ضد عدوان إيطاليا الفاشية. كان موعد سفر الجهة الشعبية إلى جنيف قبل أسبوع من انعقاد المؤتمر الإسلامي الأوربي. وقبل لقاء رئيس العصبة فوجئ مصالي بمحاولة منعه من الكلام أمام رئيس العصبة، ولكنه أصر على الكلام محتجاً بأنه أحد أفراد الوفد الشمالي أفريقي، وبصفته هذه يتوجب عليه أن يتكلم عن مشكلة أنثيوبية، التي هي قبل كل شيء مسألة أفريقية، وقد أثار هذا حقن أعضاء الوفد، وفي لقاء الوفد مع رئيس العصبة تكلم مصالي معبراً عن مشاعره إزاء العدوان الفاشي ضد أنثيوبية وقال "بالنسبة لنا نحن الأفارقة إن استقلال أنثيوبية رمز وأمل حي بالنسبة لاستقلالنا، لأن الشعب الأنثيوبي هو الوحيد الذي ما يزال حراً مستقلاً في كل القارة"^(٥٧). وفي جنيف، التقى مصالي مع الأمير شكيب أرسلان، هذا الوجه العربي العظيم الذي كان يعيش في المنفى بعد احتلال الفرنسيين وطنه سورية. تحدث مصالي والأمير حول مواضيع الساعة. كان الأمير عظيماً صلباً وكان يبدو متمتعاً بصحة جيدة... وكان جذاباً جداً وإنسانياً ورائعاً في المحادثة.. وفي اليوم التالي عقد اجتماع آخر بحضور المحامي جان لونجي، وكان الأمير ولونجي يعرفان بعضهما منذ وقت طويل. دار الحديث حول مسائل اليوم. وحسب الأمير ولونجي، إن المسائل السورية واللبنانية والفلسطينية والليبية تبدو قابلة للعمل وذلك بالانتقال من الاستقلال الذاتي إلى الاستقلال. ولكن الأمر يختلف بالنسبة لشمالي أفريقية وبخاصة الجزائر، ذلك أن فرنسا لن تقبل فصلها. تدخل مصالي في الحديث ليقول أن كل شيء هو مسألة نضال وإرادة ووقت^(٥٨). وجرى الحديث حول النجم فتنبأ لها الأمير ولونجي مستقبلاً جيداً ولكنها أضافا "يجب على صديقنا الشاب

مصالي الحاج أن يقود حزبه جيداً كما فعل حتى الآن ذلك، لأن عليه أن ينتظر صعوبات جديدة" وأثيرت مسألة حرب عالمية جديدة فقال الأمير "إنها الساعة بالنسبة لفرنسة لتعمل لصالح تحرير الشعوب العربية لتكسب صداقتها وتفتحها فلا يعرف ما يخبئه المستقبل" ووافق لونجي على وجهة نظرنا هذه ولن نفتأ في الدفاع عنها في صفوف الحزب الاشتراكي وفي البرلمان الفرنسي. ولما جرى الحديث عن مطامع موسوليني في شمالي أفريقيا قال الأمير "إن كل هذه الاعتبارات تناضل لصالح مطالبنا. إن على فرنسة المهتدة بوضعها الجغرافي أن تحقق مطامح كل الشعوب المستعمرة لتكسب ثقتها وتعاونها في المستقبل القريب. فهل نستطيع أن نأمل أن تكون الجبهة الشعبية قادرة غداً على البدء بالحوار أجاب لونجي أنه يجب أن يكون هناك أمل دوماً بالحوار وأن يوسع حكومة الجبهة الشعبية تدشينه ولكنه أضاف المسألة هي معرفة على أية سياسة ومع أي حزب يبقى مفتوحاً^(٩١).

افتتح المؤتمر وانتخب الأمير شكيب رئيساً بالإجماع. قدم الأمير عرضاً طويلاً حول أوضاع المسلمين غداة الحرب العالمية الأولى. وتحدث مصالي الحاج واثنين من رفاقه عن وضع الجزائريين المأساوي في فرنسة وخاصة في المنطقة الباريسية، حيث يعيش ٦٠ ألف جزائري. وعرض إحسان الجابري الذي شارك الأمير شكيب في تنظيم المؤتمر كختام لمؤتمر القضية الفلسطينية واتهم الصهيونية التي كانت تكثف الهجرة إلى فلسطين وشراء أرضي الفلسطينيين، وتقرر في الجلسة الختامية إنشاء مكتب إسلامي دائم في جنيف^(٩٢).

وبعد انتهاء المؤتمر وجه مصالي ورفاقه دعوات إلى جميع رؤساء الوفود لتناول الشاي. وفي هذا الاجتماع قدموا عرضاً عاماً حول (نجم شمالي أفريقية) وبرنامجهم السياسي وأعلنوا تضامنهم مع كل حركات التحرر الوطني والشعوب المستعمرة. كلن الأمير شكيب راضياً ومتفائلاً، وقال لمصالي قبل مغادرته جنيف "لقد بذرنا والآن ينبغي تحريك الأذهان للحصول على المحصول"^(٩٣).

وفي باريس علم مصالي أن محكمة التمييز ردت الطعن الذي تقدمت به (النجم) وثبتت الحكم الصادر ضدها. لجأ مصالي والنجم إلى العمل السري وأصدرت اللجنة التنفيذية قراراً بوجوب مغادرة مصالي باريس إلى سويسرة انتظاراً للانتخابات التشريعية في نيسان ١٩٣٦.

منذ وصول مصالي إلى جنيف في كانون ثاني ١٩٣٦ قام بزيارة الأمير شكيب، الذي استقبله بحفاوة وهناك على نشاط النجم وشجاعة العمال الجزائريين وقال له: "نعم في كل مكان يرفع أبناء الاسلام الرأس ويسمعون صوته وهذا يبعث على السرور" وواظب مصالي على اللقاء مع الأمير وتبادل الحديث معه حول أخبار المشرق وشمالي أفريقية. وتعرف مصالي على إحسان الجابري والدكتور ذكي على الذي كان قد قابله في المؤتمر الإسلامي الأوربي، وهو مصري كان يدافع عن قضية بلاده والقضية العربية، وكان رجلاً رائعاً وخدمياً، أعطى مصالي الكثير من المعلومات حول القضايا العربية والأوساط السياسية في سويسرة وعصبة الأمم^(١٢).

وفي آذار ونيسان ظهرت حركة احتجاجات عامة في تونس والمغرب والجزائر للتضامن مع سورية التي كانت تخوض معركة كبيرة إزاء القمع وترفع قضية الاستقلال. وكانت الأنباء التي تلقاها الأمير شكيب من دمشق وكذلك تلك التي كانت تقال في أوساط عصبة الأمم وفي اللجنة السورية الفلسطينية تتفق تماماً مع ما كان يصل مصالي من رفاقه في (النجم) في باريس. وفتحت جريدة (الأمة) صدرها للدفاع عن القضية السورية وكتبت مقالاً بعنوان (الدم يسيل في سورية) وفي باريس نظمت (النجم) مع الرابطة المعادية للاستعمار ورابطة حقوق الإنسان السورية اجتماعاً احتجاجياً في ٧ شباط ١٩٣٦، وأبرق المجتمعون إلى المندوب السامي في بيروت.

ظل مصالي على اتصال مستمر مع الأمير شكيب ووصفه أنه ليس سورياً فحسب وإنما ينتمي إلى كل العرب وكل المسامين. وكان الاستعمار الأوربي يكرهه ويكره من

بخالطه. وكانت الصحافة الاستعمارية والاختصاصيون بالشؤون العربية الإسلامية يصفونه أنه رجل خطير^(٦٣).

قال مصالي للأمير إن العمل السياسي الشرعي لا يكفي بحد ذاته لانتزاع الاستقلال. أجاب الأمير ينبغي متابعة العمل السياسي كمقدمة وهو سيتطور من نفسه حين يحين الوقت وحين يستيقظ الوعي الشعبي. أضاف أن على شعوب شمالي أفريقية أن تتقارب ولكن دون أن تطمح أو تطالب بتحقيق اتحاد سريع لن يكون له غد. ونصح الأمير مصالي أن يجعل من (النجم) حقيقة سياسية عاملة في كل أنحاء شمالي أفريقية^(٦٤).

قال مصالي إن احتكاكه بالأمير حسنت رؤيته السياسية للموقف. وقد أدرك أن العالم العربي الإسلامي يتمتع برصيد هام. كما أثبتت له كل اللقاءات التي تمت بفضل الأمير مع زعماء مشاركة ومغاربة، أن المغاربة والمشاركة يرغبون أن يتعاونوا^(٦٥).

وحين حضر جزء من الوفد السوري المكلف بالتفاوض مع السلطات الفرنسية إلى جنيف نيسان سنة ١٩٣٦ ليقابل أعضاء اللجنة السورية الفلسطينية، دعا الأمير مصالي ليحضر كل المناقشات بما فيها المناقشات مع رئيس المجلس السوري هاشم الأتاسي ووزير الداخلية سعد الله الجابري. وفي اللقاء الأول قال الأمير لمصالي "أنت هنا مثلاً كأخ وبإمكانك ليس فقط الاستماع ولكن المشاركة بالمناقشة والتعبير بحرية عن أفكارك" ونطق الأتاسي بكلمات ودية إزاء الجزائر وإزاء مصالي شخصياً. رأى مصالي السوريين أكثر من مرة وتبادل الأفكار مع الرئيس الأتاسي وتواعدا على اللقاء في باريس وعرض مصالي مساعدة (النجم) للوفد السوري وقال الأتاسي "بالتأكيد سنكون بحاجة إلى مساعدتكم"^(٦٦).

ويذكر مصالي أن شخصية فرنسية حضرت من باريس إلى جنيف لرؤية الأمير شكيب وأبلغت الأمير أنه إذا كانت المفاوضات الفرنسية السورية قد لقيت صعوبات ضخمة فذلك بسبب وجود مصالي إلى جانبه وسياسته المعادية لفرنسة. وطلب من

الأمير إبعاد مصالي وحاشيته والكف عن النضال ضد النفوذ الفرنسي في البلاد الإسلامية. حضر مصالي هذه المقابلة في أحد مقاهي جنيف بدعوة من الأمير شكيب. ورأى مصالي الأمير يثور ويرفض باحتقار ما طلب منه ليسهل المفاوضات "نعم حقيقة إنني سوري ولكني قبل كل شيء عربي مسلم ومناضل" هكذا كما قال مصالي رد الأمير الذي كان كنمر في حالة غضب^(٦٧).

انزعج مصالي لأنه كان السبب بهذا الجدل ولزم الصمت، وكان خائفاً من فشل المفاوضات "إن هذا الابتزاز الاستعماري الذي نزل إلى الحضيض جعلني أفكر كثيراً، وبالمقابل زاد تقديري وتقني وإعجابي بالأمير شكيب. كنت أعتبره آنذاك كأعظم قائد في العالم العربي. إن علاقتي به كلفتني الكثير من الانزعاج وجرت عليّ أحداثاً كبيرة فقد كانوا يعتون الأمير محرضاً متعصباً في خدمة ابن سعود أو موسكو ولكن هذا لم يغير قناعاتي حول هذا الرجل العظيم^(٦٨)."

- (النجم) والجبهة الشعبية الفرنسية:

في نيسان-آيار، كانت كل الأنظار متجهة إلى باريس تنتظر بقلق نتيجة الانتخابات التشريعية. تعاونت النجم مع الجبهة الشعبية، وقد كتب مصالي لمنصالي (النجم) أن على النجم أن تتلاحم مع الجبهة الشعبية وأن تساعد في عملها، وعلى (النجم) أن تستفيد من هذا التلاحم لتحقيق البرنامج التالي:

- ١- كسب أكبر تعاطف ممكن من أحزاب اليسار.
- ٢- تعزيز الحزب (النجم) بتحسين تنظيمه وجذب منتسبين إليه.
- ٣- غرس علم (نجم شمالي أفريقية) في الجزائر.
- ٤- المحافظة في إطار نشاطاتنا على استقلال الجزائر كهدف رئيسي وأساسي.
- ٥- عدم رفض الحوار وتمضية الوقت اللازم لشرح برنامجنا.

٦- أن نظهر لخصومنا كل الاحترام والتقدير مع الحفاظ على شخصيتنا كما هي.

٧- اعتبار الشعب قوتنا الأساسية^(٦١).

أعلنت الجبهة الشعبية برنامجها واكتفت بالنسبة لقضايا المستعمرات أنها ستؤلف لجنة تحقيق. اعتبرت أوساط المستعمرات أن هذه مناورة ألم يعلن جورج كليمنصو من قبل "إن لجنة تحقيق هي لجنة دفن". احتجت (جريدة الأمة). ونشرت رسالة إلى الجبهة الشعبية ودعت إلى جبهة شعبية شمال أفريقية على أساس برنامج (النجم)^(٦٠). حضر قادة (النجم) في باريس المؤتمر الثالث والثلاثين للحزب الاشتراكي الذي عقد في أواخر شهر أيار ١٩٣٦، ونوقشت خلاله قضية الجزائر. وقرر المؤتمر تشكيل لجنة استعمارية فيها كثير من أصدقاء (النجم) وشمالى أفريقية منهم جان لونجي محامي النجم والأستاذ شارل أندريه جوليان وغيرهم. وقد نظمت (النجم) حفل استقبال بسيط دعت إليه كل أعضاء المؤتمر الجزائريين وأعضاء اللجنة. كما اشترك (النجم) في مظاهرة "جدار الاتحاديين"، وكان الأمر بالنسبة لنا ليس فقط الاحتفال بذكرى كومون باريس بل نصباً بذكرى كومون الجزائر ١٨٧١، حيث رفع أجدادهم علم الثورة^(٦١).

وفي حزيران ١٩٣٦، عاد مصالي إلى فرنسا وكتب في جريدة الأمة "حقيقة أننا نعرف أن أمام الحكومة عمل صعب ودقيق في الداخل والخارج وإنها ورثت إدارة سيئة جداً، عليها أن تنهض بها وتحسنها ولهذا السبب بالضبط أننا نطالبها بالعمل واتخاذ قرارات حازمة تجذب لها عطف وثقة /١٨/ مليون شمال أفريقي. إن بلادنا تطالب بالعيش في الحرية والسلام، وتعليم أبنائها، وأن تسير في طريق التقدم والتحرر^(٦٢). كان مصالي يتوقع أن تتقدم الحكومة بما يرضي على الأقل بعض مطالب (النجم) الأساسية^(٦٣). أجرى مصالي اتصالات بالحزب الاشتراكي، كانت الحصيلة تحرير بعض "معتقلين. ولكن حين قابل زعماء "النجم جول موسن" وزير الداخلية وتحدثوا عن المطالب الدنيوية احتد النقاش وأجابهم جول موسن "وبعد كل

شيء لستم وحدكم في الجزائر، هناك أشخاص آخرون غيركم الدكتور ابن جلول وفرحات عباس مثلاً واتحاد المنتخبين المسلمين في قسطنطينة، إنهم ليسوا متفقين مع سياستكم". رد مصالي إنه يعرف ذلك ولكن مطالبهم لا تتطابق مع مطامح الشعب الجزائري الحقيقية.

ختم جول موسن النقاش قائلاً: إن مطالبكم رغم أنها عادلة فإنها ليست قابلة للتحقيق في الوقت الحاضر، يلزم تحقيقها وقت طويل^(٧٣).

وفي ٢٠ تموز ١٩٣٦، قدم زعماء (النجم) إلى وزارة الداخلية مطالبهم الفورية بالنسبة للجزائريين المقيمين في فرنسا:

١- إلغاء قانون الأنديجينا والقوانين الاستثنائية.

٢- حرية السفر إلى فرنسا والخارج.

٣- حرية الصحافة والاجتماع والجمعيات.

٤- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على العمال الشمال أفريقيين في المنطقة الباريزية.

٥- منح العمال الشمال أفريقيين في المنطقة الباريزية وفي كل مناطق فرنسا التعويض العائلي والمعونات وإعادة صندوق المكافأة لصالحهم.

٦- الإلغاء الفوري لبؤرة التجسس وتمزيق العمال الفرنسيين والعرب المسماة "دائرة حماية الشمال أفريقيين ومراقبتهم.

٧- إلغاء توجه مرضى الشمال أفريقيين إلى مستشفى معين وقبولهم في كل مستشفيات الدائرة^(٧٤).

وفي ٢٦ حزيران، عقد اجتماع ضخم تحت رعاية (النجم) و(الاتحاد) من أجل الدفاع

عن الشعوب المستعمرة بمشاركة ممثلي كل الشعوب المضطهدة. ومن المهم أن الجزائريين والتونسيين والمغاربة والسوريين والأفارقة وسكان جزر الأنتيل والهند الصينية جاؤوا مجمهرين ليدعموا أمام شعب فرنسا مطامحهم، وكان بين الخطباء الحبيب بورقيبة زعيم الحزب الدستوري الجديد، ومصالي الحاج رئيس النجم، وممثل الحزب الوطني السوري، وممثل الحزب الوطني المغربي، والمحامي لونجي الاشتراكي وأحد الشيوعيين وممثل مدغشقر وممثل أفريقية السوداء وممثل الأنتيل وعضو في الحزب الراديكالي، وكان الجزائريون يشكلون أكثرية^(٧٥).

وفي ٤ تموز، تظاهر في ليون/٥٠٠٠ جزائري تحت شعار (النجم)، وفي باريس شارك عدد كبير من مسلمي شمال أفريقية في الاعتراض رافعين علم النجم بكبرياء إلى جانب علم السوريين، كما كان هناك يافطات تحمل مطالب (النجم) "يسقط قانون الأنديجينا والقوانين الاستثنائية".

"التعليم بالعربية" يحيا استقلال سورية ووحدتها "العفو للجميع". وطيلة المسيرة لقي (النجم) تعاطفاً حاراً من الجمهور، وكانت هتافات "تحيا الجزائر" تحيا شمالي أفريقية الشمالية "تحيا الحرية" وتحيا مرور (النجم). وحين وصلت مجموعة النجم أمام المنصة الرسمية انطلقت صرخات قوية يرددنها ٣٥/ ألف صدر "حرروا العرب" حرروا سورية وتحيا الحرية وتحيا الأخوة بين الشعوب^(٧٦).

- مصالي الحاج والمؤتمر الإسلامي في الجزائر:

عقد المؤتمر الإسلامي في ٧ حزيران، وجاء المندوبون من مختلف أنحاء البلاد، عينتهم اللجان المحلية. عينت هذه اللجان منتخبين وأعياناً وعلماء وشيوخين ليمثلونها. وحرصت هذه اللجان على عدم تمثيل مناضلي (النجم) القوميين بصورة رسمية، إذ اعتبرتهم متطرفين وأنهم سيطالبون بالمستحيل من الجبهة الشعبية. غير أن مناضلين قوميين تمكنوا من الحضور كأفراد، غير أن المؤتمرين حرصوا ألا يسمحوا لهم بالكلام.

كان الخطباء من أنصار الجبهة الشعبية "اشتراكيين وشيوعيين" ومن ممثلي اتحاد المنتخبين المسلمين والعلماء. طالب (العقبي) من العلماء بإلغاء كلمة الأهلي من القاموس الفرنسي وعدم قول الأهلي وإنما جزائري، لأن الأول يشتمل على معنى تحقير... وقال: "عوملنا كدستوريين، كوهابيين، في حين أننا لا نريد أن نكون سوى فرنسيين مسلمين^(٧٧)". وقال ابن باديس: "إن المسلم أدرك جنسيته الفرنسية وأعلن تحن منذ الآن فرنسيون مسلمون، ينبغي أن يكون معلوماً أن المسلمين قابلون للتطور. هذا الشعب الغامض بالأمس يمكن أن يقول الآن: "كنت شعباً، وحين تتعطل الحرية الفرنسية نُقتل، وحين تستأنف الحرية الفرنسية نشاطها نريد أن نتبعها. هذا المؤتمر هو مؤتمر إسلامي جزائري، وكى نكون جديرين باسم "مسلم جزائري" برهنوا أنكم جديرون بهذا... فرنسي أصلي وفرنسي مسلم لهم نفس المصير الوطني، وينبغي أن يكون لهم نفس الحقوق الاجتماعية^(٧٨)".

هكذا ردد العلماء شعارات الاندماجين. تضمنت وثيقة المؤتمر مطالب عديدة لخصها (قداش) بمطلبين أساسيين: المساواة أي إلغاء الاستثناء، الحق العام، الارتباط الخالص والبسيط بفرنسة مع إلغاء كل الإدارات الخاصة. إصلاح سياسي صريح، والتمثيل البرلماني. لقد منح المؤتمر ثقته بالديمقراطية الفرنسية كما أدار ظهره للمسألة الوطنية واختار الاندماج السياسي^(٧٩).

حين عقد هذا المؤتمر في ٧ حزيران ١٩٣٦ كان مصالي ما يزال في سويسرة، وقبل أن يطلع على وثيقة المؤتمر أرسل إليه برقية "سلام أخوي للمؤتمر الإسلامي. إن (النجم) يدعم ويقر كل المطالب المفيدة لتحسين مصير الشعب، ويرفض كل الاقتراحات والمطالب التي تخدم الأقلية (التمثيل النيابي) وكذلك كل المطالب التي يمكن أن تمس الأحوال الشخصية الإسلامية" بين مصالي السبب في تضمين البرقية تحفظات أنه كان يعرف أن سياسة المؤتمر الإسلامي بعيدة عن سياسة (النجم)^(٨٠).

وصل وفد المؤتمر الإسلامي إلى باريس في ١٨ تموز ١٩٣٦ ليعرض على حكومة الجبهة الشعبية والأحزاب السياسية والمجموعات البرلمانية دفتر مطالب وضعها المؤتمر. كان الوفد برئاسة الدكتور بن جلول وضم عدداً من الشخصيات كابن بلديس وفرحات عباس والطبيب العقبي والإبراهيمي وغيرهم. وبناءً على طلب قيادة (النجم) دعا وفد المؤتمر قيادة (النجم) واستقبلهم الشيخ بن باديس وبشير الإبراهيمي والطبيب العقبي بمودة، وحضر الاجتماع فرحات عباس. وبعد أن تمنى لهم قادة (النجم) طيب الإقامة عكفوا على دراسة الموقف بصورة عامة وشرعوا بدراسة الوثيقة السياسية التي وضعها المؤتمر الإسلامي. وسجل قادة (النجم) عدم موافقتهم على المطالبين الخاصين بربط الجزائر بفرنسة وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي لأنهما ضد سياسة (النجم) الساعية إلى الاستقلال، وشرحوا مواقفهم خلال النقاش الذي استمر عشرة ساعات^(٨١).

كان طلب ربط الجزائر بفرنسة كما يقول مصالي عملاً سياسياً فظيلاً ومخجلاً، وأثله احتدام النقاش ذهب بعض أعضاء الوفد إلى حد القول، إنه لم يكن للجزائر استقلال أبداً. لقد ردد هذه الكذبة الكبيرة محامون وأطباء وصيادلة، وقد أجبنا هؤلاء المتقنين أن الجزائر كانت مستقلة. كانت تنتمي إلى الإمبراطورية العربية ثم الإمبراطورية العثمانية. وخلال النقاش في فندق الجراندي أوتيل "الفندق الكبير" ثم في مقهى تلمسان في "المونبارناس" بدا الشيخ بن باديس غير مرتاح ومنزعجاً. فقد كان يدافع عن قضية ضائعة وسياسة لا غد لها ولم يستطع إقناعنا. وخلال النقاش أظهرنا احترامنا له ولكننا أكدنا له أنه في أي حال لن نستطيع اتباعه في هذا الطريق الذي لا يؤدي إلى نتيجة. وزعم حينئذ أنه لا يستطيع إضافة أو حذف أي شيء من الوثيقة السياسية الصادرة عن المؤتمر. يقول مصالي إن من المحتمل أن هذه الأمور فرضها منتخبو قسطنطينة ولكن واجب جمعية العلماء المتعلقة بإحياء المبادئ الإسلامية كانت مع ذلك ليس فقط مقاومة ارتباط الجزائريين بفرنسة. بل إدانة هذه السياسة بالخيانة. وظل الخلاف كاملاً

حين انفضَّ الاجتماع وتابع وفد المؤتمر الإسلامي مهمته^(٨٢).

في ٣١ تموز ١٩٣٦ وصلت اللجنة التنفيذية رسالة من فرع (النجم) في الجزائر تشير إلى أنه سيقام اجتماع حاشد في الملعب البلدي في الجزائر حيث يقدم مندوبو المؤتمر الإسلامي تقريراً عن مهمتهم في باريس.

ورأى الفرع أن من المهم أن يحضر أحد قادة (النجم) ليتكلم ويشرح برنامج (النجم) واقترح الفرع أن يحضر مصالي الحاج.

غادر مصالي الحاج فرنسة سراً إلى الجزائر. ووصل إلى الملعب قبل وصول منظمي الاجتماع وقبل مندوبي المؤتمر الإسلامي. وسرعان ما انتشر خبر وصول مصالي وأسرته. جرت مفاوضات من أجل السماح لمصالي الحاج بالكلام، وأخيراً سمح له بالكلام ثلاث دقائق لتحية الجمهور بحجة أن الاجتماع مقرر من قبل وكذلك الخطباء وليس هناك مجال للتعديل^(٨٣).

كان ابن جلول أول المتكلمين، وقد أشار إلى حضور مصالي الحاج "إننا نحبي وجود أخينا مصالي الحاج وزوجته وابنه علي بيننا. حقيقي أن مصالي الحاج يطالب بسياسة غير سياستنا وأننا لا نستطيع أن نشاركه أفكاره. إنه يسير في طريق آخر وكل أمام مسؤولياته^(٨٤)."

وأخيراً أعطى الكلام لمصالي الحاج فتكلم مدة عشرين دقيقة باللغة العربية المنطوقة: "أيها الأخوة الأعزاء لقد جئت باريس منذ بضع ساعات حاملاً تحية (نجم شمالي أفريقية) للشعب الجزائري ولاجتماع اليوم الكبير، نعم إنني أحيي شعبنا الواقف على الدوام الوطني المخلص لماضيهِ التاريخي، وهذا بالرغم من أكثر من قرن من الاستعمار الكبير. نعم إنني سعيد اليوم لأنني في بلدي بينكم بمناسبة هذا الاجتماع الذي سيكون بدون شك تاريخاً في النضال الذي نخوضه جميعاً لنفس الهدف. نعم أكرر أنني مسرور للغاية لكوني بينكم في هذه الظروف المهمة بخاصة بمستقبل وطننا، هذه

الأرض المباركة أرضنا، هذه الأرض أرض البركة ليست للبيع ولا للمساومة ولا لربطها بشخص، هذه الأرض لأبنائها لورثتها إنهم هنا أحياء ولا يرغبون إعطاءها لأحد.

لهذا بالضبط جئت أحضر هذا الاجتماع باسم (النجم) حزبنا حزبكم الذي هو من أجل استقلال الجزائر. ينبغي أن يكون ذلك واضحاً وقاطعاً، ونحن نرفض في هذا المجال كل مساومة. الآن يجب أن ننظم أنفسنا وأن نتحد لنكون أقوىاء للناضل من أجل تحقيق أهدافنا" وقد صفق الجمهور بحماس جنوني مع هتافات مشجعة، وحين أنهى مصالي الكلام حمله الجمهور وطاف به عدة مرات حول الملعب هاتفاً "تحيا الجزائر" يحيا مصالي، يحيا الاستقلال، يحيا الإسلام يحيا الله^(٨٥).

وشعر العلماء الذين كانوا يتمتعون بنفوذ ضخم أنهم مكسوفون وأن كرامتهم مُسّت. وبعد خطاب مصالي ألقى الطيب العقبي خطبة موجزة وعنيفة ضد سياسة (النجم) وضد مصالي وقال: "كيف يمكن لحمامة بدون أجنحة أن تطير في السماء"^(٨٦).

وفي الغد شنت الصحافة حملة عنيفة ضد القوميين وطالب المستوطنون باعتقال المعادين لفرنسة^(٨٧).

النجم والعلماء:

أثار اغتيال (المفتي كحول) يوم الاجتماع دهشة الجزائريين ورأوا في ذلك يد الاستعمار. وقد زاد اعتقال (الطيب العقبي) في قناعتهم هذه. كانت هذه المؤامرة تستهدف كل الحركات السياسية الجزائرية وإفقادها رصيدها، كما تهدف إحراج حكومة الجبهة الشعبية ودفعها للتخلي عن مشاريعها الإصلاحية. وأمام هذا الموقف وجد مصالي أنه من واجب (النجم) أن يمّثّيه للعلماء، وأنه ينبغي مجابهة المناورة الاستعمارية التي تسعى لتمزيق الجزائريين وإفراغهم. قابل مصالي العلماء فأطلعهم الشيخ ابن باديس على رغبته بالسفر إلى باريس على رأس وفد صغير من أجل

إطلاق سراح (الطيب العقبي) وطلب منا المساعدة من أجل إيجاد محامين له. أكد مصالي لابن باديس مساعدة (النجم) واقترح عليه أن يضع تحت تصرفه الحزب ومناضليه للقيام بحملة احتجاج، ولكن بن باديس شكر قادة (النجم) ورفض هذا الاقتراح، وفضل كما قال لمصالي الذهاب إلى باريس بصمت والعودة إلى الجزائر بصمت^(٨٩). وقد أثار اعتقال الطيب العقبي الذعر بين اتحاد المنتخبين وشاع أن عدداً منهم قد سافر إلى فرنسا لقضاء إجازة. أما رئيسهم بن جلول فقد صرح عدة تصريحات للصحف الجزائرية والفرنسية قبل سفره إلى باريس. وقد بدا من تصريحاته أنه أخط من الأرض نفسها، فقد كان يقول بوجوب: "طرد ومطاردة كل من هو غير فرنسي في الجزائر بدون رحمة". وقال لإحدى جرائد مرسيلية في ١٢ آب، إنه يتمنى أن يكون التعليم بالفرنسية فقط وبهذا تزول اللغة العربية ويصبح الاندماج في العائلة الفرنسية أمراً واقعاً، وسيتكلم الجزائريون المسلمون وسيحلمون ولن يفكروا إلا بالفرنسية". وصرح ابن جلول أن العلماء خطرون كالقوميين والشيوعيين، ذلك لأنهم يريدون تجديد الإسلام والتنقيف باللغة العربية واضعين بذلك حاجزاً أمام إدماج المسلمين. وفي باريس حاول أن يقترح بنجم شمالي أفريقية أمام أحزاب اليسار. وذهب إلى حد المطالبة بصورة مكشوفة تقريباً باعتقال مصالي الحاج^(٩٠).

قبل مجيء مصالي إلى الجزائر كان (نجم أفريقية) معروفاً بالبلاد. وكان له وجود هياسي وعدة شعب موزعة عبر المحافظات الثلاثة ولكن نشاطاته كانت سرية. ولكن بعد النجاح الذي أحرزه مصالي في الملعب البلدي قرر النجم أن يناضل علناً أمام الشعب الجزائري والرأي العام الدولي.

وقد لقي مصاعب عديدة من الإدارة الاستعمارية ومن الحركات السياسية الجزائرية الأخرى، التي بدا أنها اتفقت ضده بما في ذلك جمعية العلماء.

ولوحظ منذ تلك الفترة غياب كلمة الأهالي في الخطاب السياسي للنجم وحل محلها

"الجزائريون /الشعب الجزائري/، الأمة الجزائرية". وكان هذا تخلصاً من التعبير الفرنسي المهيمن أو كما يقول مصالي الرغبة في القضاء على عقدة النقص وإحياء الحقيقة التاريخية^(١٠).

قام مصالي بنشاط كبير في الجزائر وقابل واجتمع مع الكثير من الجزائريين. وكان يلح على الوحدة والتنظيم. وقبل أن يغادر الجزائر كتب في (جريدة الأمة) مقالاً عنوانه "يا شعب الجزائر إذا أدت أن تحيا وتنصر نظم نفسك... حقيقة كان هناك تجمعات ونوادٍ رياضية، وطرق صوفية ولكن كل هذه الجمعيات ليس لنشاطها هدف ولا معنى. ولم يكن للجزائر حزب سياسي ذو تنظيم حقيقي. كان هناك انتخابات وحمى انتخابية ثم يسود الصمت وينسحب الشعب معتقداً أنه قام بواجبه، وكفى الله المؤمنين القتال. وكانت غالبية المتقنين في عام ١٩٣٦، قلقين من مجيئنا إلى الجزائر باستثناء القليل منهم.

كان مصالي قلقاً من الصراع بين العلماء والطرق الصوفية. أجزز العلماء نجاحاً، وكانوا يهتمون الطرق الصوفية بممارسة بعض الطقوس المخالفة للمبادئ الإسلامية. وكان العلماء يعلنون أنهم يمثلون السنة، كما كانوا يهتمون الطرق الصوفية بالتعاون مع الاستعمار.

ويذكر مصالي أنه خلال مقابلة مع شكيب أرسلان في جنيف حول هذا الخلاف وجد أن الأمير لا يوافق على هذا النزاع. وكان له صداقات مع الطرق وكان معجباً بها لأن اتباعها يجوبون الصحراء والجبـال والسهول لينشروا كلام الله بين أولئك الذين يعيشون حياة صعبة قاسية "هؤلاء الرجال يتحملون من العناء لينشروا الإسلام في المناطق الصعبة في حين أن العلماء يعيشون في المدن الكبرى في ظروف برجوازية جداً. إن إخواننا هم خدام جيدون للإسلام ومبادئه. ومن المهم عمل كل شيء لوضع حد لهذا الشقاق بين العلماء والطرق الصوفية"^(١١).

يذكر مصالي أنه قابل الشيخ الإبراهيمي عدة مرات، وكان الإبراهيمي يتهرب من النقاش ويقتصر على العموميات، وقد تأكد مصالي أن الإبراهيمي كان يتمتع بنفوذ كبير في صفوف التجار والشباب وكان عدد من مناضلي (النجم) كغيرهم يتعاطفون مع العلماء. لقد بدأت جمعية العلماء بهدف إنشاء مدارس عبر البلاد لتعليم اللغة العربية. وكان فخر العلماء أنه كان باستطاعتهم القول: إننا نبني مدارس ولكن شيئاً فشيئاً بدأت تعمل بالسياسة ولكن أية سياسة: ربط الجزائر بفرنسة ومشروع بلوم فيوليت الذي يهدف الشروع بفرنسة الجزائر على مراحل صغيرة. وأصبحوا لعبة بيد المنتخبين والحكومة والحزب الشيوعي الفرنسي^(٩٢).

قرر العلماء عقد مؤتمرهم السنوي في النصف الثاني من أيلول فقرر مصالي حضور هذا المؤتمر ليكون رأياً نهائياً حول العلماء. لاحظ مصالي وجود انقسام بين العلماء ولاحظ أن (العقبي) يقف في صف مضاد لابن باديس والإبراهيمي ويبدو أن الإدارة كسبته إلى صفها.

تحدث الخطباء في مواضيع مختلفة وعرضوا بالنجم وبمصالي الحاج دون أن يلفظوا اسمه. وحين رغب في توضيح بعض النقاط منعه من الكلام فانسحب مع جماعته احتجاجاً واتسعت الهوة بين (النجم) والعلماء^(٩٣). قرر مصالي عقد اجتماع عام في العاصمة في ٢٩ أيلول، شرح فيه خلال ساعة برنامج (النجم) السياسي ومطالبه التي ستؤدي في خاتمة المطاف إلى الاستقلال. ثم قام بجولة في بلاد القبائل مؤكداً على الاستقلال^(٩٤).

حين عزم زعماء المؤتمر القيام بحملة دعائية في أنحاء البلاد التي تأثرت بمصالي قرر مصالي تجديد إقامته في الجزائر ومتابعة أنصار المؤتمر خطوة خطوة، في مستغانم وهران وقسنطينة، وبخاصة جماعة العلماء. عاد مصالي إلى فرنسة ليحصل على موافقة لجنة القيادة على عودته للإقامة في الجزائر. وقد لقيت جولته في الجزائر

رضى القيادة، ولكن الموقف في فرنسة كان صعباً، ذلك أن شخصيات عديدة في الجبهة الشعبية لم تكن راضية عما قام به مصالي في الجزائر، وعادت مضايقات البوليس لأعضاء (النجم)... وعلى الصعيد الدولي تعقد الموقف، فقد تخلت حكومة الجمهورية الفرنسية عن الجمهورية الأسبانية، احتجت النجم ضد السياسة الفرنسية إزاء أسبانية وذلك كما يقول مصالي "لأننا ديمقراطيون ولأن حكومة الجمهوريات الأسبانية كانت تعد بإصلاحات سياسية لصالح أشقائنا المغاربة في المنطقة الأسبانية... وكانت هذه حركة إيجابية في اتجاه انتصار الديمقراطية وتحرر الشعوب المستعمرة. وقد أرسلت (النجم) اكتتاباً بسيطاً إلى حكومة الجمهورية الأسبانية كرمز وقد وجه رئيس الجمهورية الأسبانية شكره للنجم^(١٥)؛

في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٣٦، قدم مصالي تقريراً عن جولته في الجزائر أمام /٤٠٠٠/ مسلم شمالي أفريقي. أعلن المجتمعون أن الجزائريين يطالبون بإلحاح التطبيق دون قيد أو شرط في الجزائر للحريات الديمقراطية والقوانين الاجتماعية والعمالية، وقانون فصل الدين عن الدولة واحترام حرية العقيدة الإسلامية والإلغاء الكامل لقانون الانديجينا، والقوانين والتدابير الاستثنائية للقيادات والبلديات المختلطة والمناطق العسكرية، ورفض مشروع فيوليت، وجذب اهتمام حكومة الجمهورية الفرنسية بخاصة حول الوضع المأساوي الذي يعيش فيه الشعب الجزائري اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً من أجل اتخاذ تدابير حازمة من أجل مواجهة البؤس وزيادة أسعار المعيشة التي تضاعفت منذ مجيء الحكومة الحالية، دون أن تزداد الأجور مع العلم أن هذه التعاسة التي يعانيها الشعب الجزائري تسمح للدعابة الفاشية التي تحاول بكل الوسائل خلق اضطرابات.

كان "الفضيل الورتلاني" ممثل جمعية العلماء في باريس يقوم بعمل تخريبي ضد (النجم) باسم العلماء. وقد حضر هذا الاجتماع وتدخل للاحتجاج ضد عدة انتقادات وجهت له. وكان مصالي قد أبدى في تقريره عدة ملاحظات انتقد بها جلول والطيب

العقبي. وكانت انتقاداته لا تمس الأشخاص بل سياساتهم وانتقاداته كما يقول مصالي مشروعة. ومع ذلك ولتتوير الرأي العام الذي كان فريسة المناورات، قررت قيادة (النجم) نشر إيضاح "إننا لم نقل شيئاً ضد كل ما هو في المجال الديني أي التعليم باللغة العربية وتعليم الإسلام الحقيقي. على العكس إننا سعداء بهذا التجديد الذي لا غنى عنه لوطننا. إنه من الواضح إذن وضوح النهار إننا لم نهمل واجبنا في هذا المجال. إننا لسنا كابن جلول الذي يريد منع العلماء من العمل بالسياسة. إننا نقول نحن والعلماء أحرار بالعمل بالسياسة، فهذا من حقهم ونقول أيضاً أن من واجبهم ولكن بشرط أن يسمح لنا أن نقول ما نفكر به ونصوغ الانتقادات الواجبة^(٩٦).

وكان هذا النص دبلوماسياً أكثر منه سياسياً، كان يهدف إلى تحقيق جبهة واحدة لقوى الطرفين ضد الاستعمار الذي يسعى بكل الوسائل لجعل النجم والعلماء ضد بعضهما البعض. ولكن جهود النجم لم تثمر لأن العلماء لم يغيروا طريقهم^(٩٧).

النجم ومشروع فيوليت:

بعد عودة مصالي من الجزائر استدعاه قاضٍ في قصر العدل في باريس، وعلم أنه متهم بعدة جنح ارتكبها في باريس وتلمسان ومستغانم والجزائر أثناء جولته.

واتهم أنه تعرض للسلطات والسيادة الفرنسية. وأن خطاباته خلقت فوضى وأثارت العرب ليقاوموا بشدة القوانين والسلطة العامة. واتهموه أنه قال: "الاستقلال يؤخذ ولا يعطى" و"ينبغي النزول إلى الشارع لإعداد المسار العظيم".

وأمام الموقف الخارجي المهدد، بدأ الحديث بصوت عالٍ "على جميع الفرنسيين أن يرسوا صفوفهم حول فرنسا هذا ليس وقت التفكير بإصلاحات في البنية" وكان هذا حجة من أجل عدم عمل شيء لصالح الشعوب المستعمرة.

ولخداع الجماهير قدموا مشروع بلوم فيوليت الذي عارضه اليمين الفرنسي والوسط

اليمني وكل فرنسيي الجزائر، وأيده عدد من الجزائريين الذين اعتقدوا أنه سيحسّن أحوالهم^(١٨).

"إن قارئ هذا المشروع - كما قال مصالي يرى أنه درس بعمق ودقة من قبل اختصاصي الشؤون الإسلامية.

إن العشرين ألف جزائري الذين اختيروا ليصبحوا مواطنين فرنسيين اختيروا بدقة. كانوا جميعهم تقريباً ينتمون إلى البرجوازية التجارية والعقارية والمتقنين والمرابطين. إن فتح المواطنة لعشرين ألف جزائري مناورة ماهرة وخطرة. إن نظام الاستغلال الذي أوجده مشروع رعايا فرنسيين: إنها مناورة تقسيمية ليجابه الجزائريون بعضهم البعض ويسعد الاستعماريين إنهم يريدون تحويل الجزائر إلى أرض فرنسية وبالتالي فصل وطننا عن شمالي إفريقية وعن العالم العربي والإسلامي".

أمام هذا الخطر تحرك (النجم) وأعلن التعبئة ونشرت الأمة كانون الثاني ١٩٣٧ مقالة كبيرة بعنوان "خطر حاد يهدد الوحدة الجزائرية" أيها الشعب الجزائري، انهض ضد مشروع فيوليت^(١٩). وفي ٢٥ كانون الثاني، حلت السلطات الفرنسية (نجم شمالي أفريقية)^(١٠٠)، طلب مصالي من أصدقائه متابعة نشاطهم باسم "أصدقاء الأمة" وطالب الأعضاء بالهدوء وضبط النفس. وبالمقابل وجه مصالي احتجاجاً إلى جميع الصحف وإلى الجبهة الشعبية ولجنة حقوق الإنسان ورابطة المتقنين المعادية للفاشية وأحزاب الجبهة الشعبية ومنظمات المستعمرات وإلى أصدقاء النجم من الشخصيات السياسية الفرنسية، أي أنه طرق جميع الأبواب ودق جميع الأجراس...^(١٠١). ونشرت جريدة الأمير شكيب أرسلان "الأمة العربية" في نيسان ١٩٣٧ مقالة احتجاج، ولقي (النجم) تأييد منظمات المستعمرات ودعت لجنة الدفاع عن مصالح مسلمي الجزائر اجتماعاً في ١١ شباط ١٩٣٧، وتكلم مهندس أفريقي مطالباً تأخي العرب مع زنوج أفريقية وهتف قبل مغادرة المنبر "أفريقية للأفارقة". وتحدث مصالي قائلاً: "إن مشروع

فيوليت يورخ في الواقع بسنة ١٨٧١ لقد كلفنا غالباً ما دام بفضل هذه المناورة التي هي قانون كريميو الذي انتزع منا الاستعمار جزءاً هاماً من شعبنا وعرف كيف يجعله ضدنا، ولم ينتقل هذا الفريق إلى الجانب الآخر من المتاريس فحسب بل أصبح دليل الاستعمار وخادمه، إن السيد فيوليت يرغب اليوم أن يجري نفس العملية بابتلاع متقفينا. إننا لا نقبل هذه المناورة المخجلة»^(١٠٢).

كان خلق حزب سياسي جديد بعد الحل مشروعاً جريئاً وخطراً واعتبره البعض عملاً جنونياً، وفكر قادة (النجم) باسم الحزب الجديد تجنباً لحل جديد. فكر بتسمية (الحزب القومي الجزائري) ولكنهم استبعدوا الفكرة بناء على نصيحة البعض. وهكذا اختير اسم "حزب الشعب الجزائري" الذي أعلن تأسيسه في ١١ آذار، وتولى مصالي الحاج رئاسته. حتى هذا التاريخ كان (نجم شمالي أفريقية) يهدف التي تكريس نفسه للدفاع عن كل شمالي أفريقية ولكن مع حزب الشعب الجزائري رأى مصالي ورفاقه أن يقصروا نشاطهم على الجزائر مع احتفاظهم بعلاقاتهم مع تونس والرباط^(١٠٣).

الهوامش

1- les Mémoires de Messali Hadj Préface de Ben Bella P. 13-14.

2- Les Mémoires, P. 267.

3- Mémoires P. 213.

4- Mémoires P. 63.

٥- يقول مصالي في الجزائر كما في فرنسا إن حزبنا هو الوحيد من نوعه قومي يقوده جزائريون عرب مسلمون يستمدون من الماضي التاريخي ومن الحضارة العربية الإسلامية ومن مبادئ الإسلام بعيداً عن التعصب P. 216. Mémoires.

٦- الدكتور محمد المالكى: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي ص ١٣٢.

7- Les Mémoires P. 33.

8- Les memores p. 41.

9- Mémoires P. 59.

10-Mémoires P. 63.

11-Mimoires p. 66.

12-Mémoires p. 84.

13-Mémoires p. 103-104.

14-Mémoires p. 106.

15-Mémoires p. 107.

16-Mémoires p. 109.

17-Mémoires p. 120.

18-Mémoires p. 121.

19-Mémoires p. 123.

20-Mémoiresp. 124

٢١- كان زواج مصالي من فرنسية من اللورين، بلد جان دارك، موضع استتكار من الفرنسيين الاستعماريين في الجزائر، وكانوا يعتبرونه ضربة خطيرة لهيبتهم وكرامتهم كعرق متفوق وكان بعض هؤلاء الناس رجالاً ونساء يقولون بغضب إن هذه الفرنسية يمكن أن تكون لصاة أو عاهرة من الضواحي
.Mémoires p. 144

22-Mémoires p. 134

23-Mémoires p. 136-140

24-Mémoires p. 146

٢٥- يقول أجبيرون في تعقيبه على مذكرات مصالي "يدعي مصالي في مذكراته أنه هو الذي أنشأ النجم في آذار ١٩٢٦ ولكن على المؤرخ أن يتذكر أنه في ٧ أيار حيا مصالي علناً في اجتماع الحاج على المؤسس للنجم" انظر Mémoires p. 284 "والحق أن مصالي لم يقل أنه مؤسس النجم بل كان من بين مؤسسيه الأوائل وعين رئيساً له.

26-Mémoires p. 151.

27-Mémoires p. 153

28-Mémoires p. 153

29-Mémoires p. 154

30-Mémoires p. 154

٣١- لم يطل بقاء الشاذلي في (النجم) فقد حدث خلاف بينه وبين قادة (النجم) بعد مؤتمر بروكسل. ويقول مصالي "وفي الحقيقة إن الشاذلي خير الله بتميزه وثقافته وشخصيته كان نشاداً وسط العمال، وهكذا غادر إلى تونس ولم يكن مرتاحاً بيننا" (وفي الحقيقة طرد الشاذلي خير الله من فرنسة) Mémoires p. 158.

32-Mémoires. P. 156

٣٣- انظر البرنامج السياسي في ملحق المذكرات. Mémoires. P. 315.

34-Mémoires. P. 156-157-158.

35-Mémoires. P. p. 159

36-Mémoires. P. 159-160

37-Mémoires. P.164-165.

٣٨- لم يحضر الأمير خالد الاجتماع ولم يرسل حتى رسالة اعتذار وأبلغ ممثله أحمد بفلول مصالي أن الأمير مستاء لأنهم وضعوا اسمه على بطاقة الدعوة للاجتماع. وأضاف بفلول أنه بادر بنفسه بالكتابة إلى وزير الداخلية لينفي مسؤولية الأمير خالد. انظر Mémoires. P.165-190.

٣٩- على رأسها الأمير شكيب أرسلان وإحسان الجابري.

40-Mémoires. P.166.

41-Mémoires. P.169-170

٤٢- رداً على حادث البراق

43-Mémoires. P.170

44-Mémoires. P.160-161-162.

45-Mémoires. P.167

46-Mémoires. P.172-173

47-Mémoires. P.175-170

48-Mémoires. P.193

يقول مصالي "حقيقة أننا كنا ضد الفاشية وضد النازية ولكننا كنا قبل كل شيء ضد الاستعمار وضد الامبريالية. كان هذا شعوراً عاماً لدى كل الشمال الافريقيين إننا لا

نريد أن نحارب لتعزيز القوة الاستعمارية للامبرياليين كنا ننتظر إنشاء الجبهة الشعبية الرسمي بنفاذ صبر لننضم إليها ولكن أيضاً لنعرض برنامجنا السياسي. وحين أعلنت الجبهة الشعبية في حزيران ١٩٣٥ اتفقت الأحزاب الشمال أفريقي: (النجم) و(الدستور) و(العمل المغربي) على تبني موقف مشترك إزاء أحزاب اليسار.

49-Mémoires. P.180

50-Mémoires. P.180

51-Mémoires. P. 33

52-Mémoires. P.186

53-Mémoires. P.191

54-Mémoires. P.192

55-Mémoires. P.195-196

56-Mémoires. P.197

57-Mémoires. P.198

58-Mémoires. P.198

59-Mémoires. P.198-199

60-Mémoires. P.207

61-Mémoires. P.209

62-Mémoires. P.209-210

63-Mémoires. P.210

64-Mémoires. P.210-211

65-Mémoires. P.211

66-Mémoires. P.211

67-Mémoires. P.212

68-Mémoires. P.212

- 69-Mémoires. P.212
- 70-Mémoires. P.213-214
- 71-Mémoires. P.216
- 72-Mémoires. P.217
- 73-217-218
- 74-Mémoires. P.219
- 75-Mahfboud Kaddache: Histoire du nationalisme Algérien Tome 1
P. 429
- 76-I bid: p. 429
- 77-I bid: p. 431
- 78-Mémoires. P.214
- 79-Mémoires. P.219-220
- 80-Mémoires. P.220
- 81-Mémoires. P.223
- 82-Mémoires. P.223
- 83-Mémoires. P.223-224
- 84-Mémoires. P.224
- 85-Mémoires. P.225
- 86-Mémoires. P.225
- 87-Mémoires. P.225-226
- 88-Mémoires. P.227
- 89-Mémoires. P.229
- 90-Mémoires. P.229
- 91-Mémoires. P.230
- 92-Mémoires. P.231
- 93-Mémoires. P.236

94-Mémoires. P.237

95-Mémoires. P.237

96-Mémoires. P.238-239

97-Mémoires. P.239-240

٩٨- لم يأت الحل عن طريق القضاء وإنما جاء بمرسوم من مجلس الوزراء وطبق فوراً دون أن يكون بإمكان النجم اللجوء إلى القضاء P.240. Mémoires.

99-Mémoires. P.240

100- Mémoires. P.243

101- Mémoires. P.245